الدر المبذول
شرح الثلاثة الأصول

تأليف

أبي محمد/

طاهر بن محمد بن علي صريم السماوي

حفظه الله وسدده

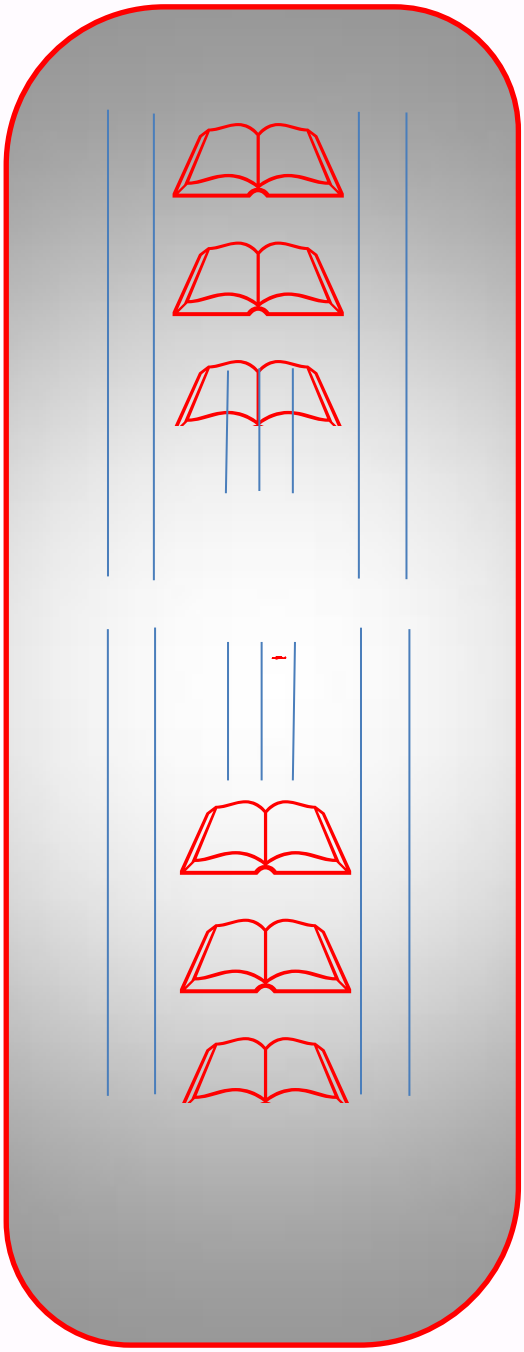

حقوق الطبع محفوظة

لكل مسلم

الطبعة الأولى

١-٤-١٤٤٤هـ

لمن أراد طباعته أو إعادة تنسيقه يتواصل على الرقم
+٩٦٧٧٧١٥٧١٦١٠ واتس

مقدمة الشارح

الحمد لله الذي يُشكَر على ما به أنعم، وعاقب على ما لو شاء منه عصم، وصلى الله على مُحَمَّد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأعوذ بالله من هوى مضل، وعمل غير متقبل، وأسأله الزيادة في اليقين، والعون على اتباع سبيل المؤمنين.

وبعد:

فقد يسر الله بتدريس هذا الكتاب وغيره من كتب العقيدة ولله الحمد وتكلمنا فيه بما فتح الله علينا من بعض الفوائد التي طلب بعض إخواننا أن نقيدَها في شرح لعل الله أن ينفع بها فرأيت ذلك وعزمت عليه ولأن من أسباب حفظ العلم ونشره ونيل الأجر والمثوبة لهو تسطيرُه وبثُه للناس بما نرجوا من الله تعالى أن يرفع به الدرجات ويغفر به الزلات إنه جواد كريم.

وكتاب الثلاثة الأصول قد شُرِح من علماء كثير وطلاب علم أكثر وهي مبثوثة ما بين صوتيه ومكتوبة ولله الحمد ولكن مادامت هذه المادة العلمية شبه جاهزة بعد تدريسها لإخواني وقد خشيت من ضياعها وذلك لما رأيت تمزيق دفتر الفوائد من بعض أولادي وهكذا كثير من إخواننا يشكو ضياع مواد علمية في دفاتر كانت غالية عليه وعزيزة فشرعت في تمامها خشية فقدانها والقصد هو الاختصار لهذا الكتاب وإلا فشرحه يعتبر شرح لجميع مسائل الدين لأنه ما ترك شيئا إلا وقد أشار إليه بالجملة.

ولعل الله أن ينفع بها في الحياة وبعد الممات إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو مُحَمَّد/ طاهر السماوي وفقه الله

٥/ جماد الأولى/١٤٤٤هـ

تمهيد

فهذه مقدمات مهمة نقدمها بين يدي هذا الكتاب العظيم بل وبين يدي هذه السلسلة العلمية في هذا العلم-التوحيد والعقيدة- الذي هو أساس الإيمان والذي قد ظل فيه من ظل وانحرف فيه من انحرف ولم يوفقه الله للصواب.

ومن هذه المقدمات التي نستعرضها هنا باختصار هي:

المقدمة الأولى: أهمية المقدمات في العلوم

ولا شك أن المقدمات في أي علم له أهميته الكبيرة وفائدته العظيمة فمن ضمن ذلك:

١- أنه يعرف بالعلم ويبين حده وحقيقته.

٢- المقدمات تبين أقسام العلم وأنواعه وتفاصيله.

٣- المقدمات تسهل على الطالب بيان حقيقة ما يطلب، وما يبذل.

المقدمة الثانية: أهمية هذا العلم [علم العقيدة]

إنَّ الاهتمام بعلم العقيدة من الثوابت عند المسلمين، والتي لا تقبل الجدل ولا المساومة؛ فلأجل عبادة الله وحده خَلَق اللهُ الخَلْق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع، وأقام الحسابَ عليها يوم القيامة، فريق في الجنة وفريق في السعير.

فلذلك صار علمُ العقيدة أفضلَ العلوم وأجلَّها على الإطلاق؛ لأنه العلم بالله وأسمائه وصفاته، إذ شرفُ العلم بشرف المعلوم.

المقدمة الثالثة: أهمية هذا الكتاب.

هذا الكتاب امتاز بسهولته وما حواه من بيان أصول الدين الثلاثة وبعض متعلقاتها وهي معرفة الله ونبيه ودينه والذي ما خُلِق العبدُ إلا لمعرفتها وأداء حقوقها وسيسأل عنها في قبره ويحاسب عليها يوم لقاء ربه.

وقد قررت الأصول الثلاثة ثلاثة أمور مهمة وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والولاء والبراء. وهذا هو حقيقة الدين ومجمعُه.

وقد أثنى أهل العلم على هذا الكتاب وجعلوه من مقررات كتب العقيدة بل من أول المقررات التي يدرسها طالب العلم المسلم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: فيلزم الأمير أن يأمر على جميع المدرسين وأئمة المساجد، بالحضور عند من يعلمهم دينهم، ويلزمهم القراءة فيما جمعه شيخنا رحمه الله في كتاب التوحيد، من أدلة الكتاب والسنة التي فيها الفرقان بين الحق والباطل، فقد جمع على اختصاره خيراً كثيرا، وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي مَنْ وفقه الله، وبين فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله، ويلزمهم سؤال العامة عن أصول الدين الثلاثة بأدلتها، وأربع القواعد. [الدرر السنية «٤ / ٣٣٨»]

وكتب الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: لأئمة المساجد آمراً لهم تعليم جماعة المسجد - المصلين- ثلاثة الأصول، وأن يعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم عنها. وقال رحمه الله : وكذلك عليكم - أي الأئمة - تعليم الجماعة أمر الدين وسؤالهم عنه، كما في «مختصر ثلاثة الأصول» فيتعين على كل إمام مسجد إبلاغ جماعته بذلك، ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم، ويعلمهم ما يخفى عليهم منها. [فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم «٢٧٧/٢»]

المقدمة الرابعة: التعريف بالكتاب.

اختلف أهل العلم في تسميتها على قولين:

القول الأول: الأصول الثلاثة استناداً منهم إلى كلام المؤلف فقد قال في ثناياها: فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه،ونبيه مُحَمَّداً ﷺ، ثم سردها. وراجع [الدرر السنية«١ / ١٢٧»]

القول الثاني: الثلاثة الأصول. اسناداً إلى قول المؤلف في رسالته هذه: فاعلموا وفقكم الله لمراضيه، وجنبكم طريق معاصيه، أن من الواجب على كل مسلم ومسلمة: معرفة ثلاثة أصول، والعمل بهن. ثم ذكرها. راجع[الدرر السنية«١ / ١٤٧»] وهذا قول مُحَمَّد بن إبراهيم وابن القاسم والعثيمين وغيرهم رحمهم الله.

والأقرب القول الثاني وذلك لأمور منها:

١- أن هذه الرسالة مرت بمراحل من الكتابة، والأخيرة هي التي كتبها في الدرعية في آخر الأمر وهي آخر كتابة كتبها المؤلف بعد طلب الأمير عبد العزيز بن مُحَمَّد بن سعود، وإن كانت الأخيرة ناقصة لم يذكر فيها الكلام على الطاغوت.

٢- ترجيح أهل العلم لها وهم من أئمة الشأن ومن علماء الدعوة ومن المحققين لا سيما من أشرنا إليهم.

٣- المثبت مقدم على النافي وهم قد اثبتوا هذا الاسم بخلاف الذين نفوه إنما أخذوا اسمه من مضمون الكلام.

وعليه فهذا الكتاب يعرف بالأصول الثلاثة أو بالثلاثة الأصول على الاختلاف السابق:

فقوله: الأصول جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤

وقوله: الثلاثة هي الأصول التي خُلق العبد لتحملها وأدائها وهي التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

المقدمة الخامسة: تلخيص هذا الكتاب.

هذا الكتاب لابد أن نعمل له اختصاراً وتلخيصاً بحيث يُلم به الطالب ولو لم يحفظه وهذا التلخيص اختصرناه في هذه النقاط وهي:

١- جعل المصنف رحمه الله مقدمة أولى لهذا الكتاب وهي مكونه من أربع مسائل وهي:
[العلم – والعمل - والدعوة إليها – والصبر على الأذى فيها].

٢- ثم جعل المصنف رحمه الله تعالى مقدمة ثانية لهذا الكتاب وهي مكونة من ثلاث مسائل وهي:[بيان الخلق وحكمة وجوده – بيان التوحيد وأهميته وخطورة الشرك بالله تعالى – بيان طاعته وطاعة رسوله ﷺ والتحذير من طاعة غيرهما والبراءة منه]

٣- جعل المصنف رحمه الله هنا لب الكتاب وهو بيان هذه الثلاثة الأصول وهي[معرفة الله - ومعرفة دين الإسلام - ومعرفة نبي الإسلام ﷺ]

٤- جعل المصنف خاتمة لهذه الأصول الثلاثة وهي:[بيان حال بعض الطواغيت والبراءة منها] لأنه لا يكتمل حقيقة هذه الثلاثة التي هي مناط النجاة إلا بتحقيق البراءة من كل الطواغيت وأهل الضلال والانحراف جميعا وإلا كان الإيمان فيه خللًا بحسبه.

المقدمة السادسة: التعريف بمؤلف هذا الكتاب.

فهو الشيخ الإمام، شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي. ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في العيينة «بنجد».

نشأته:

حفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، وكان حادُ الفَهم، وقَادُ الذهن، سريع الحفظ، فصيحا فطنا. نشأ الشيخ في أحضان بيت علم كبير توارثوه أبا عن جد.

أخذه للعلم:

أخذ عن أبيه وعن الشيخ المحدث مُحَمَّد حياة السندي والشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري وغيرهم من علماء نجد والبصرة وغيرها.

رحلته في طلب العلم:

رحل طالبا للعلم إلى الحجاز ثم إلى البصرة، لكنه أوذي فيها، وعاد إلى نجد، فسكن "حريملا" مع أبيه يقرأ عليه إلى أن توفي أبوه سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف للهجرة. وكان له اهتمام خاص بمطالعة كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

بداية دعوته:

وبدأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بإظهار دعوته منكرا لجميع مظاهر الشرك والبدع، مجددا لسنة رسول الله ﷺ وناهجا منهج السلف الصالح في الدعوة إلى التوحيد الخالص. وكان من المساندين له أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر، فناصره وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره، فهُدمت قبور ومشاهد وقُطعت أشجار، وعلَت كلمةُ الحق. لكن سرعان ما تخلى الأمير عن الشيخ وخذله، وأمره بالخروج من العيينة، فتلقاه أمير "الدرعية" مُحَمَّد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته، وتعاهدا على إعلاء كلمة الله وسنة رسوله، فأيدهما الله سبحانه وتعالى بنصرِه، فملكوا مكة والمدينة وقبائل الحجاز وأمصارًا أخرى.

تلامذته:

وقد تخرج على يده وأخذ عنه علماء أجلاء منهم: أبناؤه علي وحسين وإبراهيم وعبد الله، والشيخ أحمد بن راشد العريني والشيخ حمد بن إبراهيم والشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر وغيرهم.

عبادته:

قال حسين بن غنام رحمه الله كان رحمه الله يُحيي غالب الليل قائمًا، يصلي ويتهجد ويقرأ القرآن، وكان من دأبه التأني والتثبت في تنفيذ الأحكام، لا يُميله الهوى عن الشرع، ولا تصده عداوة عن الحق، بل يحكم بما ترجح له وجه الصواب فيه. فإن وجد نصا في كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتزمه ولم يعدل عنه، وإلا رجع إلى كتب الأئمة الأربعة، وأخذ نفسه بدقة المراجعة والتحقيق للنص، وشدة البحث والكشف والتنقيب.

من مؤلفاته:

'كتاب التوحيد' و'مختصر زاد المعاد' و'مسائل الجاهلية' و'الكبائر' و'كشف الشبهات' وغيرها.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة ست بعد المائتين والألف، وله اثنتان وتسعون سنة.

قال المؤلف رحمه الله

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم. فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: معنى البسملة وأهميتها.

الْبَسْمَلَةُ فِي اللُّغَةِ وَالِاصْطِلَاحِ:

قَوْل :بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .يُقَال :بَسْمَل بَسْمَلَةً :إِذَا قَال أَوْ كَتَبَ :بِسْمِ اللَّهِ .وَيُقَال :أَكْثَرْ مِنَ الْبَسْمَلَةِ، أَيْ أَكْثِرْ مِنْ قَوْل :بِسْمِ اللَّهِ.[الموسوعة الكويتية«٨٣/٨»]

قال الطَّبَرِيُّ رحمه الله: إِنَّ اللَّهَ تعالَى ذِكْرُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُه -أَدَّبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدا ﷺ تَعْلِيمِهِ ذِكْرَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَمَامَ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَجَعَل ذَلِكَ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بِهَا، وَسَبِيلاً يَتَّبِعُونَهُ عَلَيْهَا، فَقَوْل الْقَائِل :بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا افْتَتَحَ تَالِيًا سُورَةً، يُنْبِئُ عَنْ أَنَّ مُرَادَهُ أَقْرَأُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الأَفْعَال. [جامع البيان «٩٠/١»] وفيها من المسائل:

١- معنى اسم:

قال ابن الجوزي رحمه الله: وفي الاسم خمس لغات : إسم بكسر الألف، وأُسم بضم الألف إذا ابتدأت بها، وسِم بكسر السين، وسُم بضمّها، وسما .قال الشاعر:

والله أسماك سمى مباركا. ..آثرك الله به إيثاركا [زاد المسير «١٦/١»].

والاسم مشتق من السمو: وهو العلو، وقيل: من الوسم، وهو العلامة؛ لأن كل ما سمي فقد نوه باسمه ووسم. وكلاهما صحيح لغة.

٢- دخول الباء على اسم الله.

قال الماوردي رحمه الله واختلفوا في معنى دخول الباء عليه، فهل دخلت على معنى الأمر أو على معنى الخبر على قولين:

أحدهما: دخلت على معنى الأمر وتقديره :ابدؤوا بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الفراء

والثاني: على معنى الإخبار وتقديره :بدأت بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قولُ الزجَّاج [النكت والعيون«١/٤٨»]

المسألة الثانية : معنى اسم الله والرحمن والرحيم والفرق بينهما.

والله كلمة مشتقة من أله يأله إلاهة والمألوه هو المعبود والذي لا يستحق العبادة إلا هو جل وعلا. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى.

قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله :﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٣ وقال: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ التوبة: ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم فعُلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفسَت عندها مرآةُ قلبك لم تنجل لك صورتها.[بدائع الفوائد «١/٢٤»]

وقال ابن القيم رحمه الله فَالرَّحْمَنُ الَّذِي الرَّحْمَةُ وَصْفُهُ، وَالرَّحِيمُ الرَّاحِمُ لِعِبَادِهِ. [المدارج«١/٥٦»]

وانظر: مختصر الصواعق للموصلي «٣٦٠»]

المسألة الثالثة: فوائد البسملة وبعض الأحكام التي تضمنتها

فوائد البسملة والأحكام التي تضمنتها كثيرة منها ما يلي:

❖ مشروعة البداءة باسم الله على كل أمر ديني، أو دنيوي، استعانة وتبركًا وتيمنًا.

❖ إثبات اسمه تعالى «الله» الدال على أنه له كمال الألوهية والعبودية سبحانه وتعالى.

❖ إثبات اسمي الله: الرحمن. الرحيم. وما تضمناه من الصفة والأثر.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله الرحمن، الرحيم: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم، فله نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلًا بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم، ذو علم يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء. [تيسير الكريم الرحمن«١/٣٣-٣٤»]

[وانظر: بدائع الفوائد«١/٢٤» ومدارج السالكين«١/٧٥» والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله«١٠-١١»]

❖ أن اسمه تعالى الله هو أصل أسمائه – تعالى - تأتي بقية أسمائه تابعة له، لهذا جاء اسماه الرحمن و الرحيم تابعين لهذا الاسم.

❖ أن اسم الله أعظم من اسمه الرحمن ولهذا قُدم عليه، وأن اسمه الرحمن أبلغ من الرحيم وأخص منه من حيث اللفظ، ولهذا قُدم عليه، تقديمًا للأعظم والأهم.

❖ الاعتراف بنعمة الله تعالى وفضله وإحسانه، أن هذا كله من آثار رحمته المذكورة في قوله تعالى: الرحمن الرحيم.

❖ الجمع بين أسلوب الترهيب والترغيب، لأن في قوله: الله دلالة على عظمة الله وقهره، وفي قوله: الرحمن الرحيم. دلالة على فضل الله، وإحسانه وإنعامه، والأول أسلوب ترهيب، والثاني ترغيب.

❖ الدلالة على أن الاستعانة إنما تُستَمد من الله تعالى، ويجب صرفها له، فهو القادر على إعانة من استعان به، وهو الرحمن الرحيم بعباده، أرحم من الوالدة بولدها، كما جاء في الحديث: الله أرحم بعباده، من هذه بولدها. فهو نعم النصير والمعين، ومفزع الخائفين وأرحم الراحمين.

❖ إظهار مخالفة المشركين، الذين يفتتحون أمورهم باسم اللات والعزى ومناة والرب والمسيح والوطن والشعب، وغيرها من الأصنام والأنداد، من المخلوقين وغيرهم، ومن المؤسف أن نرى كثيرًا من الكتاب من المسلمين أو من المنتسبين إلى الإسلام يصدرون كتبهم وصحفهم باسم الشعب وباسم الحرية، وتقرأ الكتاب من أوله إلى آخره لا تجد فيه ذكر اسم الله.

❖ فيها الرد على القدرية الذين يقولون :إن العبد يخلق فعل نفسه، إذ لو كان ذلك كذلك لما احتاج العبد إلى طلب العون من الله-تعالى.

❖ أن ذكر اسم الله عون للعبد على جميع أحواله، وسبب لحصول الخير، والبركة، والحصول على مطلوبه، والنجاة من مرهوبه، بإذن الله تعالى، والسلامة من الشيطان وهمزاته وشروره، وإغاظته ودحره وطرده من أن يحول بين العبد وبين قراءته، ويوسوس له فيها، أو أن يشاركه في أكله وشربه ودخوله وخروجه، وسائر أحواله .[اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب «١٧٠-١٧٢»]

المسألة الرابعة: لماذا ابتدأ المؤلف بالبسملة

الجواب: ابتدأ المؤلف بها لأمور منها:

١- اقتداءً بكتاب الله تعالى فكتاب الله تعالى مبتدأ في بداية كل سورة بالبسملة ولذلك اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهَا أَيَّةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَمِنْ كُل سُورَةٍ .وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالأَصَحُّ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ، وَمَا قَال بِهِ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ هُوَ :إِنَّ الْبَسْمَلَةَ لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُل سُورَةٍ، وَإِنَّهَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، أُنْزِلَتْ لِلْفَصْل بَيْنَ السُّوَرِ، وَذُكِرَتْ فِي أَوَّل الْفَاتِحَةِ .[الموسوعة الفقهية الكويتية «٨/ ٨٣»]

واتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ جُزْءٌ مِنْ آيَةٍ فِي قَوْله تَعَالَى :﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ النمل: ٣٠

٢-اقتداءً بهدي الأنبياء عليهم السلام قال الله تعالى ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النمل: ٢٩ – ٣١

قلت: وكان سبب وصفها لكتاب سليمان بالكرم من عدة أوجه منها:

أ- أنه بُدأ به باسم الله تعالى.

ب-أنه من سليمان النبي ﷺ.

ت-أنه يحمل الهداية والدعوة إلى الله تعالى.

ث-أنه يحمل البلاغة والإيجاز واختصار المطلوب.

ج- أنه يحمل الدعوة إلى الاستسلام لله وليس للملك والقوة والتسلط.

ح- أنه جاء به رسول خفي أوصل المطلوب سراً ليمنع الأنفة بالإذعان لو كان جهراً وهذا من سر النصيحة. والله أعلم

٣-اقتداءً بسنة الرسول ﷺ فقد كان يراسل ويبتدئ كتاباته ومراسلاته بل وجميع شؤونه بالبسملة وهي كثيرة مما ثبت تسميته فيه أمور بأدلتها منها: [١- عند قراءة القرآن. ٢- عند

المراسلة بالكتابة. ٣- عند الطعام والشراب. ٤- عند الدخول والخروج. ٥- الوضوء. ٦- عند سقوط الدابة. ٧- عند ركوب الدابة. ٨- عند دخول المسجد. ٩- عند إدخال الميت قبره. ١٠- من أذكار الصباح والمساء. ١١- عند دخول الخلاء. ١٢- عند خلع الثياب. ١٣- عند الرقية. ١٤- عند من يصاب بجرح. ١٥- عند الجماع. ١٦- عند الذبح. ١٧- عند الغزو. ١٨- عند الألم. ١٩- عند النوم. ٢٠- عند إغلاق الباب. ٢١- وإطفاء المصباح ٢٢- وعند إيكاء السقاء وتخمير الإناء. ٢٣- عند الحجامة. ٢٤- عند الدفع من مزدلفة. ٢٥- عند الصيد].

قال الإمام البخاري رحمه الله باب التسمية على كل حال وعند الوقاع. فالتسمية مشروعة في كل شيء.

٤- اقتداءً بهدي السلف رحمهم الله تعالى فقد جرت تآليفهم على هذا بل أشار بعض أهل العلم أن على الكاتب والمؤلف أن يبتدأ كتابه بثمانية أمور وهي: [١- البسملة. ٢- الحمدلة. ٣- الشهادة. ٤- الصلاة على النبي ﷺ. ٥- أما بعد. ٦- البراعة الاستهلالية. ٧- اسم الكتاب. ٨- اسم الكاتب «المؤلف»]

٥- طلباً للبركة بهذه الكلمة الطيبة التي جعل الله تعالى لمن ابتداء بها البركة في جميع ما يُبتدأ به.

٦- طلباً للمعونة من الله لأنها تقتضي هذا فالباء فيها للاستعانة

٧- مطردةَ للشيطان ومشاركتِه للعبد في أعماله وسائر شؤونه.

٨- استشعار الحاجة لله تعالى وأن العبد محتاج إليه في سائر الأمور.

المقدمة الأولى: وفيها أربع مسائل

قال المؤلف رحمه الله

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

قوله: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى اعلم

خطاب للمتعلم وهو فعل أمر بتعلم العلم وطلبه وابتغائه والأمر بالعلم وطاعة العلماء في ما هو مأمور به شرعا واجبة لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩ وقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ النساء: ٨٣ وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله عز وجل». [أحمد«٧٣٣٠» بسند صحيح] فطاعة العلماء واجبة إذا أمروا بطاعة الله تعالى وتعلُم العلم واجب لاسيما العلم الذي لا ينجوا العبد إلا بتعلمه كما سيأتي بيان ذلك.

وفيه الدلالة والإرشاد إلى ما ينفع العبد ويكون فيه الخير له في الدنيا والأخرة.

المسألة الثانية: دلالة قوله: اعلم

١- تدل هذه الكلمة على حسن تأليف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وحسن تسهيل العلم وحسن التنبيه للقارئ والمتعلم.

٢- تدل على شفقته ورحمته بالمتعلم وذلك بدلالته لما فيه الخير له في الدنيا والآخرة.

المسألة الثالثة: معنى قوله رحمك الله

الرحمة صفة من صفات الله تعالى كما تليق به لا تشابه صفات المخلوقين بخلاف أهل البدعة الذين يقولون أنها إرادة الإنعام وهذا من تفسير الصفة بالأثر وسيأتي بيان هذه الكلام في الكتب الأخرى بإذن الله.

فهو دعاء من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لصالب العلم بالرحمة في الدنيا والآخرة فرحم الله الشيخ ورحمنا وإياكم وجميع المسلمين.

المسألة الرابعة: هل يجوز تقديم الغير على النفس في الدعاء

الجواب: الأصل في هذا حديث جاء عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا دَعَا لِأَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، فَذَكَرَ ذَاتَ يَوْمٍ مُوسَى، فَقَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى مُوسَى، لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِ». [مسلم «٦٣١٥» وابن أبي شيبة «٢٩٢٢٦» واللفظ له]

قال الله عن نوح: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ نوح: ٢٨

وقال عن إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ إبراهيم: ٤١

وقال عن موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأعراف: ١٥١

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً؛ فإن الملائكة يُؤَمِّنونَ على ما تقولون» قالت فلما مات أبو سلمة، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! إن أبا سلمة قد مات. قال: «قولي: اللهم اغفر لي وله وأعْقِبْنِي منه عقبى حسنة». [مسلم« ٢/ ٦٣٣»]

قال الطيبي رحمه الله لأن الدعاء بعد الذكر يدل على سابقة فيهتم بدعائه فبدأ بنفسه؛ ليكون أقرب إلى الإجابة ووسيلة إلى الفوز.[شرح المشكاة «٥/١٧٢٠»]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْبَدَاءَةِ بِالنَّفْسِ فِي الدُّعَاءِ. [فتح الباري«٢/٣١٤»]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله اخْرُج بن أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ يسَار قَالَ ذكرت رجلا عِنْد بن عُمَرَ فَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَهَزَ فِي صَدْرِي وَقَالَ لِي ابْدَأْ بِنَفْسِكَ وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ كَانَ يُقَالُ إِذَا دَعَوْتَ فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي فِي أَيِّ دُعَاءٍ يُسْتَجَابُ لَكَ. [فتح الباري«١١/١٣٧»]

وقال العلامة المناوي رحمه الله «كان إذا ذكر أحدا فدعا له» بخير «بدأ بنفسه» ثم ثنى بغيره ثم عمم اتباعا لملة أبيه إبراهيم فتتأكد المحافظة على ذلك وعدم الغفلة عنه وإذا كان لا أحد أعظم من الوالدين ولا أكبر حقا على المؤمن منهما ومع ذلك قدم الدعاء للنفس عليهما في القرآن في غير موضع فغيرهما أولى. [فيض القدير«٥/١٣٤»]

المسألة الخامسة: لماذا اختار المؤلف قوله: رحمك الله دون غيرها من الأدعية.

الجواب: اختار المؤلف الرحمة دون المغفرة والرزق والصلاح...الخ وذلك لأن الرحمة جامعة لكل خير في الدنيا والآخرة فما يُعطى العبد من خير ويدفع عنه من شر ويبتلى ويعافى ويرزق ويمنع وغيرها مما يجري في هذا الخلق إلا وهو قائم على الرحمة له ولو نُزعت عنه الرحمة لهلك.

ولذلك كانت نجاته في الدنيا مربوطة بالرحمة ولذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لن ينجي أحدا منكم عمله». قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشئ من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» [البخاري«٦٠٩٨» مسلم«٢٨١٦»]

قال العلامة العثيمين رحمه الله وفيه: أنه ينبغي على الإنسان أن يكثر من ذكر الله دائما ومن السؤال بأن يتغمده الله برحمته قل دائما اللهم تغمدني برحمة منك وفضل لأن عملك في مرضاة الله لا يكون إلا برحمة الله عز وجل. [شرح رياض الصالحين عند حديث«٨٦»]

المسألة السادسة: ما أهمية هذه المسائل التي أشار إليها المؤلف رحمه الله

الجواب: يتجلى ذلك في أمور منها:

أ- لتعلم أن هذه الأمور الأربعة منها ما يكون علماً ومنها ما يكون عملاً ومنها ما يكون أثراً أما العلم فهي المسألة الأولى: [العلم] وأما العمل فهي المسألة الثانية والثالثة: [العمل والدعوة إليه] وأما ما يكون أثر لكليهما فهي: [الصبر] وهو من الأعمال الصالحة.

ب-أن هذه المسائل الأربع هي التي تكون في حياة المسلم والتي لا ينبغي أن يفرط فيها وإلا لحقه من النقص بقدر تخلف هذه فيه.

ت-أن هذه المسائل الأربع عامة لجميع المسلمين ذكَرهم وأنثاهم، عالمهم وجاهلهم في كل الأوقات وهي واجبة وجوبا عينياً بحسبها.

ث-التنبيه على تهاون الناس والغفلة عنها ولذلك قدمها هنا وجعلها كخطبة الحاجة للكتاب ونعم ما فعل عليه رحمات ربي.

ج- وحَدْها بهذه الأربع لأنها جامعة لمسائل الدين والقيام بها قيام بما يجب علينا كأمة مسلمة تحمل رسالة شامية ونحن مأمورون من الله تعالى ببلاغها والبذل لها.

المسألة السابعة: معنى هذه المسائل وأقسامها

المسائل: جمع مسألة والمسألة هي: قول يستخدم لطلب منفعة أو دفع مضرة وهي على قسمين:

١- مسألة لأمر محسوس: وهي طلب منفعة دنيوية من مال وغيره كقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ الضحى: ١٠

٢- ومسألة لأمر معنوي: وهي طلب منفعة أخروية من العلم وغيره كقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٧

المسألة الثامنة: أحوال الناس في هذه الأربع المسائل

والناس فيها على أحوال:

١- منهم من فرط فيها كلها وهو الذي خسر الخسارة الكبرى.

٢- ومنهم من حرص عليها كلها وهو الذي نجا وفاز في الدنيا والأخرى.

٣- ومنهم من انتقص منها أو حفظ بعضها فعلى قدر الحرص والتفريط ينال الفوز والنجاة والسعادة في الدنيا والأخرى أو الضلال والردى نسأل من الله السلامة والعافية.

قال المؤلف رحمه الله

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

قوله: المسألة الأولى: العلم...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف العلم

لغة: العلم نقيض الجهل، وعلمت الشّيء أعلمه علما: عرفته. [لسان العرب «٥/ ٣٠٨٣»]

اصطلاحاً: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. [التعريفات للجرجاني «١٩١»]

المسألة الثانية: أقسام العلم

قال الحافظ ابن عبد البر: والعلوم تنقسم إلى قسمين:

١- ضروري.

٢- ومكتسب.

فحد الضروري ما لا يمكن أن يشكك فيه، ولا يدخل فيه شبهة، ويقع العلم به قبل الفكرة والنظر، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل.

وأما العلم المكتسب فهو ما كان طريقُه الاستدلال والنظر، وفيه الخفي والجلي، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى، وما بعُد منها كان أخفى. [انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «٢/٣٦-٤٠»]

المسألة الثالثة : مراتب نيل العلم

قال ابن القيم رحمه الله وللعلم سِتّ مَرَاتِب: أولها حسن السُّؤَال. الثَّانِيَة: حسن الانصات وَالِاسْتِمَاع. الثَّالِثَة: حسن الْفَهم. الرَّابِعَة: الْحِفْظ. الْخَامِسَة: التَّعْلِيم. السَّادِسَة. وَهِي ثَمَرَته وَهِي الْعَمَل بِهِ ومراعاة حُدُوده. [مفتاح دار السعادة«١/١٦٩»]

المسألة الرابعة : أهمية هذه الثلاثة الأصول

قلت :يتجلى أهمية هذا الثلاث في أنه جمع فيها خلاصة حياة العبد وما يجب عليه فيها وهي معرفة المرسل والرسول والمرسل به وهي الثلاثة الأمور التي يجب عليه أن يحرص عليها في الدنيا والتي يسأل عنها في قبره ولا ينجو يوم القيامة إلا إذا حققها في الدنيا ومن تلك الأدلة.

عن أبي قتادة الأنصاريّ رضي الله عنه أنّ رجلا أتى النّبيّ ﷺ فقال :كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ فلمّا رأى عمر غضبه .قال: «رضينا بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمّد نبيّا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر رضي الله عنه يردّد هذا الكلام حتّى سكن غضبه. ..الحديث».[مسلم«١١٦٢»]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال :«يا أبا سعيد من رضي بالله ربّا، وبالإسلام دينا وبمحمّد نبيّا وجبت له الجنّة». [مسلم«١٨٨٤»]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ فقال :«إنّ الميّت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين حين يقال له :يا هذا، من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟».وفي رواية : «ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له :من ربّك؟ فيقول :ربّي الله، فيقولان له :ما دينك؟ فيقول :ديني الإسلام، فيقولان له :ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فيقول :هو رسول الله،

فيقولان له :وما يدريك؟ فيقول :قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدّقت».[أبو داود«٣٢١٢» وصححه الألباني رحمه الله].

المسألة الخامسة : العلاقة بين هذه الثلاث المسائل

وأما العلاقة بينها فهي علاقة تَلازم وتضمن ومطابقة.

فمعرفة الله تعالى يستلزم منها معرف دينه ورسوله والعمل بذلك.

ومعرفة النبي ﷺ يستلزم العمل بدينه وهو متضمن بمعرفة الله تعالى والإقرار به.

ومعرفة دين الإسلام والعمل به يتضمن معرفة الله ورسول ﷺ.

وكلها العلاقة بينها بالمطابقة إذ لا يُقبل أحدهما إلا بالآخر فكلها من أركان وأصول الإيمان.

فمعرفة الله تعالى لا تكون معرفة كاملة إلا بالوحي الذي جاء به الرسول ﷺ وهو الشرع المحكم والدين المعظم ولا يُعرَف رسوله ﷺ أنه رسول إلا بتأييد الله تعالى له بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة والوحي الجلي الذي أقامه الله على صدق نبيه ﷺ وكذلك لا يُعرَف الدين إلا عن طريق الرب تبارك وتعالى.

فهو الذي شرع وأوحى إلى عبده ما أوحاه جل وعلا من بيان الأحكام الشرعية مما يجب على العبد فعله أو تركه كل هذا على لسان الرسول ﷺ .

تنبيه: سيأتي بيان هذه الثلاثة الأمور والكلام عليها في موطنها لأنها لبُ الكتاب وما يدور عليه

قال المؤلف رحمه الله

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

قوله: المسألة الثانية: العمل به: هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: ما هو العمل

العمل هو الأحداث والأقوال التي تصدر من العبد.

المسألة الثانية: أهمية العمل بالعلم وذم من لم يعمل بعلمه

العمل بالعلم هو المقصود من العلم بل هو المقصود من الخلق والإيجاد للعبد وهو من أسباب السعادة والفلاح والنجاح والفوز ودليل الصدق في العبودية لله تعالى ومن تلك الأدلة التي تبين فضل العمل بالعلم منها على سبيل الإشارة:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٥ – ١٧٧

٢- وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ الجمعة: ٥

٣- وقال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ ﴾ البقرة: ٤٤

٤- قال الإمام الشوكاني رحمه الله عند هذه الآية كلاماً تتصدع له القلوب ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال: وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَعْظَمِ تَقْرِيعٍ وَأَشَدِّ تَوْبِيخٍ وَأَبْلَغِ تَبْكِيتٍ: أَيْ كَيْفَ تَتْرُكُونَ الْبِرَّ الَّذِي تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِهِ وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ بِقُبْحِ هَذَا الْفِعْلِ وَشِدَّةِ الْوَعِيدِ عَلَيْهِ، كَمَا تَرَوْنَهُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي تتلونه والآيات التي تقرؤونها أَفَلَا تَعْقِلُونَ اسْتِفْهَامٌ لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ وَالتَّقْرِيعِ لَهُمْ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَشَدُّ، وَأَشَدُّ مَا قَرَّعَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ عَامِلِينَ بِالْعِلْمِ، فَاسْتَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا أَمْرَهُمْ لِلنَّاسِ بِالْبِرِّ مَعَ نِسْيَانِ أَنْفُسِهِمْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي قَامُوا بِهِ فِي الْمَجَامِعِ وَنَادَوْا بِهِ فِي الْمَجَالِسِ إِيهَامًا لِلنَّاسِ بِأَنَّهُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِ اللَّهِ مَا تَحَمَّلُوهُ مِنْ حُجَجِهِ، وَمُبَيِّنُونَ لِعِبَادِهِ مَا أَمَرَهُمْ بِبَيَانِهِ، وَمُوَصِّلُونَ إِلَى خَلْقِهِ مَا اسْتَوْدَعَهُمْ وَائْتَمَنَهُمْ عَلَيْهِ، وَهُمْ أَتْرَكُ النَّاسِ لِذَلِكَ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ نَفْعِهِ وَأَزْهَدُهُمْ فِيهِ، ثُمَّ رَبَطَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى جَعَلَهَا مُبَيِّنَةً لِحَالِهِمْ وَكَاشِفَةً لِعَوَارِهِمْ وَهَاتِكَةً لِأَسْتَارِهِمْ، وَهِيَ أَنَّهُمْ فَعَلُوا هَذِهِ الْفِعْلَةَ الشَّنِيعَةَ وَالْخَصْلَةَ الْفَظِيعَةَ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ وَمَعْرِفَةٍ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ وَمُلَازَمَةٍ لِتِلَاوَتِهِ...الخ [فتح القدير «١/ ٩٢»]

٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «رَأَيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رجالا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتك الَّذِينَ يَأْمُرونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أفَلا يَعْقِلُونَ». [أحمد«١٢٨٧٩» وأبو يعلى«٣٩٩٢» انظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيب «١٢٥»، وصَحِيح الْجَامِع : «١٢٩»]

٦- وقال الحسن البصري رحمه الله العامل على غير علم كالسّالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر ممّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبا لا تضرّوا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا تضرّوا بالعلم، فإنّ قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتّى خرجوا بأسيافهم على أمّة محمّد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا. [جامع بيان العلم لابن عبد البر «١/ ١٣٦»]

المسألة الثالثة: الفرق بين الفعل والعمل

١- الفعل أعم من العمل. والعمل أخص من الفعل.

فالفعل يكون للقلب واللسان والجوارح إذا أطلق. أما العمل إذا أطلق فلا يقال إلا للجوارح يقال ماذا عملت قال الله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣ ولم يقل يفعلون لعمومه على الفعل الخاص بالجوارح إذا أطلق.

٢- الفعل يكون من المكلف والعمل من المكلف وغير المكلف.

٣- الفعل بقصد وبغير قصد بخلاف العمل لا يكون إلا بقصد.

العمل الأصل فيه أن يكون عن قصد فأكثر ما يكون للإنسان وقلما ينسب إلى حيوان، عموم العمل. إذن الفعل أعم والعمل أخص. قال الله ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الزمر: ٧٠ هذا حساب، وقد ختم الآية بالفعل ليدل على أنه سبحانه يعلم الفعل والعمل يعني يعلم ما فُعِل بقصد وما فُعل بغير قصد وعلمه ليس مختصاً بالعمل وإنما علمه يشمل العمل ويشمل الفعل

٤- الفعل يكون بغير زمن مديد بخلاف العمل يكون بزمان محدود.

مثل قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ ﴾ الفجر: ٦ أي على وجه السرعة. بخلاف قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝٧١ ﴾ يس: ٧١ والعمل وهو خلق النعم على زمن تحتاجه المخلوقات حتى تكتمل وتنمو.

المسألة الرابعة: حكم العمل بالعلم

العمل بالعلم بحسب المعلوم وحكمه وهي على أحوال وهي:

١- قد يكون العمل واجب مثل امتثال الواجبات وترك المحرمات وهي كثيرة.

٢- وقد يكون مستحبا مثل امتثال المستحبات وترك المكروهات.

٣- وقد يكون محرما وهو مخالفة المأمورات وارتكاب المحرمات.

٤- وقد يكون مكروها وهو ترك المستحبات وارتكاب المكروهات.

٥- وقد يكون مباحا لذاته وهو ما لم يأت فيه أمر ولا نهي لذاته إلا أن يكون وسيلة لغيره.

المسألة الخامسة: أقسام الناس من حيث العمل بالعلم

قال الله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾ الفاتحة: ٦ – ٧

قال شيخ الإسلام رحمه الله وجماع ذلك أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملا أو لا قولا ولا عملا وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

وعليهم الناس من حيث العمل بالعلم على ثلاثة أقسام والناس تبعٌ لهم:

١- منهم من عمل بعلمه وهم أهل الهدى والإسلام.

٢- ومنهم من لم يعمل بعلمه وهم الذين غضب الله عليهم من اليهود.

٣- ومنهم من عمل بلا علم وهم النصارى الضالون.

قال سفيان بن عُيينة رحمه الله كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شَبَه من اليهود ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شَبَه من النصارى.[اقتضاء الصراط«٧»]

قال المؤلف رحمه الله

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

قوله: المسألة الثالثة: الدعوة إليه: هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: معنى الدعوة إليه.

هي دعوة النّاس إلى الإسلام الحق والسنة المحضة بالقول والعمل على الدوام.

المسألة الثانية: أهمية الدعوة إلى هذا الدين

الدعوة إلى الله عز وشرف ورفعة للعبد في الدنيا والآخرة ولو لم يكن من فضائلها إلا أنها:

١- **سبيل الأنبياء ووظيفتهم.** قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨

٢- **سبيل إلى الفلاح.** قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤

٣- **دليل الخيرية.** قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠

٤- **من أسباب نضارة الوجه وجماله.**

فعن عبد الله بن مسعود عن النّبي ﷺ قال: «نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مسلم: إخلاص العمل

لله، ومناصحة أئمّة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ الدّعوة تحيط من ورائهم». [الترمذي «٢٦٥٨» وصححه العلامة الألباني]

٥- من أسباب مضاعفة الأجور.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا». [مسلم «٢٦٧٤»]

المسألة الثالثة: حكم الدعوة إلى الله

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَرْضٌ لاَزِمٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥ وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤ وغيرها من الأدلة فالدعوة لازمة لجميع المسلمين أن يكونوا دعاة بما يستطيعون.

وَقد اخْتُلِفَ فِي وُجُوبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ هَل هُوَ عَيْنِيٌّ أَمْ كِفَائِيٌّ.

والصواب أن منه ما يكون فرض كفائي وهو على أهل العلم وطلاب العلم وحملة العلم. ومنه ما يكون فرض عين على كل مكلف.

فما يكون فرض عين فِي مَوَاضِعَ:

أ - إِذَا كَانَ الْمُنْكَرُ فِي مَوْضِعٍ لاَ يَعْلَمُ بِهِ إِلاَّ هُوَ، وَكَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِزَالَتِهِ.

ب - مَنْ يَرَى الْمُنْكَرَ مِنْ زَوْجَتِهِ أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ يَرَى الإِْخْلاَلَ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

ج - وَالِي الْحِسْبَةِ، فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ، لاِخْتِصَاصِهِ بِهَذَا الْفَرْضِ. [راجع الموسوعة الفقهية الكويتية]

المسألة الرابعة: شروط الدعوة؟.

الدعوة إلى الله تعالى لابد لها من شروط خاصة في زماننا هذا فإذا أقام الداعية هذه الشروط يرجى من الله تعالى أن ينال ثمرة دعوته وهي الاستجابة وهذه الشروط:

١- أن تكون على بصيرة فعلى الداعية أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه.

٢- أن يكون على بصيرة بحال المدعو

٣- الدعوة إلى الله بالرفق والحكمة والعفو.

المسألة الخامسة: مراتب الدعوة إلى الله وحال المدعوين

قال ابن القيم رحمه الله قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥

فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو:

١- فإنه إما أن يكون طالبا للحق راغبا فيه محبا له مؤثرا له على غيره إذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.

٢- وإما أن يكون معرضا مشتغلا بضد الحق ولكن لو عرفه عرفه وآثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

٣- وإما أن يكون معاندا معارضا فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن. [الصواعق«١٢٦٧/٤»]

المسألة السادسة: هل وسائل الدعوة توقيفية أم اجتهادية؟

الصواب الذي لا محيد عنه أن الدعوة ووسائلها وطرقها كلها توقيفية عن الشرع وذلك لأمور منها:

١- أن الله تعالى قد أكمل الدين من كل النواحي ومنها وسائل الدعوة قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨ وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣

٢- أن الله أوجب طاعته وطاعة رسوله ﷺ ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ﷺ ووسائل الدعوة إن كانت جائز ليس فيها منهي فنعم وإن كان فيها مما لم يأذن الله به فلا يجوز وهذا يبطل قاعدة الغاية تبرر الوسيلة.

٣- أن النبي ﷺ ما من خير إلا وقد دل عليه وما من شر إلا وقد حذر منه.

٤- أننا لسنا بمأمورين أن نرتكب مالم يأذن الله به من أجل هداية الناس.

٥- أن الناس هدايتهم بيد الله تعالى كما قال الله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ الأنعام: ١٢٥ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن﴾ الإسراء: ٩٧.

قال المؤلف رحمه الله

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

قوله: المسألة الرابعة: الصبر...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الصبر؟

قال الرّاغب: هو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشّرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه.

وقيل: هو حبس النّفس عن الجزع والتّسخّط، وحبس اللّسان عن الشّكوى، وحبس الجوارح عن التّشويش.

المسألة الثانية: أهمية الصبر وأدلته

١- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ آل عمران: ٢٠٠

٢- وقال الله: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ الزمر: ١٠

٣- عن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النّبيّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتّقي الله واصبري». قالت: إليك عنّي فإنّك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنّه النّبيّ ﷺ فأتت باب النّبيّ ﷺ فلم تجد عنده بوّابين. فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنّما الصّبر عند الصّدمة الأولى». [البخاري «١٢٨٣» واللفظ له، مسلم «٩٢٦»]

٤- **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أنّه قال: «الصّبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كلّه». [الزهد لوكيع بن الجراح «٤٥٦/٢»]

٥- **عن عمر** رضي الله عنه قال: «وجدنا خير عيشنا الصّبر». [الدر المنثور «١/ ١٦٣»]

٦- **قال ابن تيميّة** رحمه الله قد ذكر الله الصّبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا.[مجموع الفتاوى«٣٩/١٠»]

٧- **قال ابن القيّم** رحمه الله سأل رجل الشّافعيّ رحمه الله- فقال: يا أبا عبد الله، أيّهما أفضل للرّجل أن يمكّن «فيشكر الله عزّ وجلّ» أو يبتلى «بالشّرّ فيصبر»؟ فقال الشّافعيّ: لا يمكّن حتّى يبتلى، فإنّ الله ابتلى نوحا وإبراهيم ومحمّدا- صلوات الله عليهم أجمعين- فلمّا صبروا مكّنهم، فلا يظنّ أحد أن يخلص من الألم البتّة. [الفوائد لابن القيم «٢٨٣» «بتصرف يسير»] ومن تلك الفضائل والمكارم التي تنال بالصبر:

١- **من أسباب الإمامة في الدين**. قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤

٢- **من أسباب المغفرة**. قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ هود: ١١

٣- **معية الله تعالى لأهل الصبر**. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة: ١٥٣

قال أبو عليّ الدّقّاق رحمه الله فاز الصّابرون بعزّ الدّارين. لأنّهم نالوا من الله معيّته فإنّ الله مع الصّابرين. [مدارج السالكين «٢/ ١٦٦»]

٤- **من أسباب طيب العيش**.

عن عمر رضي الله عنه قال: «وجدنا خير عيشنا الصّبر.[الدر المنثور «١/ ١٦٣»]

المسألة الثالثة: أنواع الصبر.

الصبر على ثلاثة أنواع وهي:

١- الصبر على طاعة الله وهو أفضلها وأجلها وهو أهولها.

٢- الصبر على معصية الله وهو ثانيها.

٣- والصبر على أقدار الله تعالى وهو آخرها.

قال المؤلف رحمه الله

والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ العصر: ١ – ٣

قوله: والدليل قوله تعالى: والعصر ...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: أهمية هذه السورة

قال ابن القيم رحمه الله الكمال: أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكمِّلاً لغيره، فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره. [مفتاح دار السعادة «١/٥٨»]

قال ابن القيم رحمه الله السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات. [المصدر السابق]

وقال غيره: إنها شملت جميع علوم القرآن.

المسألة الثانية: تفسير هذه السورة

قوله: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ ﴾ أقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار وتعاقب الظلام والضياء، فإن في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده، ويقال لليل عصر، وللنهار عصر، ويقال للغداة والعشي عصران.

قال ابن القيم رحمه الله فأقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة والآية فيه، فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدره العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام، وتعاقبهما

واعتدالها تارة، وأخذ أحدهما من صاحبه تارة، واختلافهما في الضوء والظلام، والحر والبرد، وانتشار الحيوان وسكونه، وانقسام العصر إلى القرون والسنين والأشهر والأيام، والساعات وما دونها - آية من آيات الرب تعالى، وبرهان من براهين قدرته وحكمته. [بدائع التفسير «٣٢٨/٥»]

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾هذا جواب القسم، والخسر والخسران النقصان وذهاب رأس المال، والمعنى أن كل إنسان في المتاجر والمساعي وصرف الأعمار في أعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله فهداه، ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه وأمر غيره به. [التبيان في أقسام القرآن«٨٣-٨٨»]

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾أي جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح فإنهم في ربح لا في خسر، لأنهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها.

فقوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾أي أوصى بعضهم بعضاً ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾الذي يحق القيام به وهو الإيمان بالله والتوحيد والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه، قال قتادة بالحق أي بالقرآن وقيل بالتوحيد والحمل على العموم أولى.

وقوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾عن معاصي الله سبحانه وعلى فرائضه وعلى البلايا، وفي جعل التواصي بالصبر قريناً للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه أن الله مع الصابرين. [فتح البيان «١٥/ ٣٧٥» بتصرف]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه. فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما. [بدائع التفسير«٣٢٧/٥»]

قال ابن القيم رحمه الله جهاد النفس أربع مراتب :

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين. [زاد المعاد في هدي خير العباد «٣/١٠»]

المسألة الثالثة : فوائد هذه السورة

١- أن لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

٢- الإشارة إلى ما في العصر وهو الوقت من العبرة والآية، فإن مرور الليالي والأيام والشهور والأعوام وجريان الأفلاك وتعاقب الفصول من أعظم الآيات الكونية.

٣- أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بالصفات الأربع المذكورة في السورة

٤- أن حقيقة الخسران أن يصاب الإنسان في دينه لأن الصفات الأربع المذكورة كلها مما يتعلق بالدين.

٥- أن حقيقة الربح والفوز أن يسلم للإنسان دينه، فكل خسارة أو مصيبة دون ذلك تهون.

٦- أنه لا يكفي مجرد الإيمان دون العمل الصالح.

٧- وجوب التواصي بلزوم الحق والأخذ به، والتعاون والتناصح في ذلك

٨- أنه لا يكفي مجرد الإيمان والعمل الصالح بالنفس فقط دون وصية الآخرين به وحثهم عليه، والتناصح في ذلك والدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون في ذلك.

٩- وجوب الصبر، والتواصي به؛ وصبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

قال المؤلف رحمه الله

قَالَ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ. وَقَالَ البُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد: ١٩، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ «قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»

قال الشافعي: لو ما أنزل الله...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: تخريج قول الشافعي ومعناه

ورد في تفسير الشافعي«٣/ ١٤٦١» وذكر ابن كثير في تفسيره : «١/٦» عن الشافعي نحوه بلفظ: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم. وذكره ابن القيم في التبيان: «٥٣» وفي مفتاح دار السعادة: «١/٥٨»، وفي الاستقامة: «٢/٢٥٩» وفي عدة الصابرين «٦٠» عن الشافعي أيضاً بلفظ: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم. وهذا كله بدون سند يعرف إلى الشافعي بعد البحث والتنقيب ولم أجد له سندا.

وأما معناه فواضح جلي أنه الله جل وعلا لو جعل حجة يهتدي ويبين للناس أسباب نجاتهم وفوزهم لكفتهم هذه الآية بياناً شافيا عالياً.

المسألة الثانية: من هو الشافعي؟.

اسمه:

هو مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي الغزي المولد. ثبت في الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط موصوف بالإتقان، متين الديانة.

ثناء العلماء عليه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله سمعت مُحَمَّد بن داود يقول: لم يحفظ في دهر الشافعي كله أنه تكلم في شيء من الأهواء، ولا نسب إليه ولا عرف به مع بغضه لأهل الكلام والبدع. وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: كان الشافعي إذا ثبت عنده الخبر قلده، وخير خصلة كانت فيه لم يكن يشتهي الكلام، إنما همته الفقه. قال أبو زرعة، سمعت قتيبة بن سعيد يقول: مات الثوري ومات الورع ومات الشافعي وماتت السنن، ويموت أحمد ابن حنبل وتظهر البدع. قال أبو ثور الكلبي: ما رأيت مثل الشافعي، ولا رأى هو مثل نفسه. قال أحمد بن حنبل من طرق عنه إن الله يقيض للناس في رأس كل مائة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله - ﷺ - الكذب قال: فنظرنا، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي. وقال الفضل بن زياد: سمعت أحمد يقول: ما أحد مس محبرة ولا قلما إلا وللشافعي في عنقه منة.

من أقواله:

قال: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم -يعني كتبه- على أن لا ينسب إلي منه شيء.

وعنه قال: ما كابرني أحد على الحق ودافع، إلا سقط من عيني، ولا قبله إلا هبته، واعتقدت مودته.

وعنه: العلم علمان: علم الدين وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث.

وسئل: مَن أقدر الفقهاء على المناظرة؟ قال: من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ لم يتلعثم إذا رمقته العيون.

وعنه بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد. وعنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه.

وعنه ضياع العالم أن يكون بلا إخوان، وضياع الجاهل قلة عقله وأضيع منهما من واخى من لا عقل له.

توفي سنة أربع ومائتين فرحمه الله.

المسألة الثالثة: معنى قول الشافعي.

قال العثيمين رحمه الله مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة. لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة، أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران، وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. [شرح الأصول الثلاثة]

المسألة الرابعة: من هو البخاري

اسمه:

مُحَمَّد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبه وقيل بذدزبه وهي لفظة بخارية معناها الزراع.

نشأته وطلبه للعلم.

وقال عن نفسه: وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم. فقلت: اثنين وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوما.

قلت: فقد رحل وطاف البلاد شرقاً وغرباً في طلب الحديث ونال منه مبلغاً لم يبلغه غيره في كتابة الحديث وتصحيحه ولو لم يكفي من محاسنه إلا الصحيح بل يعد من محاسن الإسلام الكبرى فرحمه الله.

تصنيفه لصحيح:

قال رحمه الله: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال: ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب.

وعن مُحَمَّد بن يوسف البخاري قال كنت مع مُحَمَّد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في.ليلة ثمان عشرة مرة.

ثناء العلماء عليه:

قلت: هو إمام الدنيا ومحدثها وفقيها فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه دار القرار وجمعنا به في مستقر رحمته.

كان يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد في عمر مُحَمَّد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموته ذهاب العلم.

وعن نعيم بن حماد قال: مُحَمَّد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

و لما قدم مُحَمَّد بن إسماعيل على سليمان بن حرب نظر إليه سليمان فقال هذا يكون له يوما صوت.

وعن إسحاق بن راهويه قال: اكتبوا عن هذا الشاب يعني البخاري فلوكان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

وعن مُحَمَّد بن إسماعيل يقول لما دخلت البصرة صرت الى مجلس بندار فلما وقع بصره علي قال من أين الفتى قلت من أهل بخارى فقال لي كيف تركت أبا عبد الله فأمسكت فقالوا له يرحمك الله هو أبو عبد الله فقام وأخذ بيدي وعانقني وقال مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين.

توفي سنة: ٢٥٦هـ فرحمه الله

المسألة الخامسة: ما هو وجه استدلال المؤلف بتبويب البخاري ومعناه

قال ابن المنير رَحِمَهُ اللَّهُ أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصحّحة للعمل. فنبه المصنف على ذلك، حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوينُ أمر العلم، والتساهل فيه.[كما في الكوثر الجاري شرح صحيح البخاري«١٤٥/٣»]

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ قال المهلب: العمل لا يكون إلا مقصودًا لله معنًى متقدمًا، وذلك المعنى هو علم ما وعد الله عليه من الثواب وإخلاص العمل لله تعالى، فحينئذٍ يكون العمل مرجوَّ النفع إذ تقدمه العلم، ومتى خلا العمل من النية، ورجاء الثواب عليه، وإخلاص العمل لله تعالى، فليس بعمل، وإنما هو كفعل المجنون الذى رُفِعَ عنه القلم.[شرح البخاري لابن بطال«١٥١/١»]

المسألة السادسة: معنى قوله جل وعلا: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

قوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد: ١٩ استدل به على أن العلم قبل العمل، لأن الله تعالى خاطَبَ أعلمَ الخَلْق به، ثم قال: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد: ١٩ والاستغفار يكون فعل القلب واللسان.

فإن قلت: رسول الله - ﷺ - كان عالمًا بهذا الحكمِ قبل هذا الخطاب؟ قلتُ: له نظائر يُخاطَبُ هو ويراد أمتُه، أو أُريدَ به الدوام والثبات عليه، كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب: ١ والمقصود المداومة والاستمرار على الخير.

المقدمة الثانية: وفيها ثلاث مسائل.

قال المؤلف رحمه الله

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، ورَزَقَنَا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولَ ١٥ ﴾ المزمل: ١٥

قوله: الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: أعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم ثلاث مسائل.

وهذا الكلام تقدم بيانه في المقدمة الأولى.

المسألة الثانية: وجه الترابط في كلام المؤلف رحمه الله.

ذكر المؤلف هنا كلمات مرتبه ترتيبا جميلاً وفائدة عزيزة تدل دلالة على سعة علمه وفقهه فرحمه الله ولك بيانها وهي أصل ووسيلة وغايه ونتيجة:

١- **فالأصل [وهو الخلق]**: وهو مبدأ الأمر، فخلق الله تعالى للخلق هو مبدأ الأمر وهو لله وحده.

٢- **والوسيلة للدوام الخلق[وهي الرزق]**: فالرزق وسيلة لدوام الحياة. وذلك لأن الله تعالى جعله من مقومات هذه الحياة ولا تدوم الحياة إلا به وهو لله وحده.

٣- **الغاية من الخلق [وهو عبادة الله ولا تكون إلا بإقامة الحجة وإرسال الرسل]**: فالغاية من الخلق والهدف منه هو العبادة ولا تستقيم الحياة إلا به وبدوام الحجة على الناس والعمل بها من أسباب دوام الحياة ولذلك جعل الله نبيه ﷺ خاتم الرسل وما بعده إلا الساعة ولا تكون الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله فإذا أصبح الناس بهذه الحالة أذن الله بقيام الساعة.

٤- **النتيجة [وهي الجنة والنار]**.

فقد ذكر المؤلف خلاصة الحياة من أولها إلى نهايتها بهذه الكلمات اليسيرة فرحمه الله وأعلى درجته فله في قلوبنا محبة لعل الله يجمعنا به وبجميع الصالحين في دار رحمته ونسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنه وعن جميع المسلمين إنه جواد كريم.

المسألة الثالثة : معنى قوله : أن الله خلقنا فيه مسائل وهي

١- معنى الخلق.

الخلق: هو الإيجاد يقال خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع والخلق الإيجاد للشيء. وعليه فالخلق هو الإيجاد والتقدير للشيء وتسويته.

والخلق في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه.

فالخلق في اللغة يعني التقدير، والإنشاء، والإيجاد، والإبداع، وقد يراد به المخلوق.

٢- الخالق من أسماء الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩ وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١ والآيات في هذا كثيرة جدا.

والخلق في الشرع هو صفة فعلية قائمة بذات الله ومتعلقة بقدرته ومشيئته، وتعني إبداع الكائنات وإنشاءها من العدم، وفق تقدير الله لها.

٣- أنواع الخلق.

الخلق يكون على حالين هما:

الحالة الأولى: الخلق المطلق وهو الإيجاد من العدم وهذا خاص بالله تعالى كما قال الله تعال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الطور: ٣٥ – ٣٦ وقال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ لقمان: ١١

الحالة الثانية: الخلق النسبي وهو تحويل الشيء إلى شيء أخر. كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤

قال ابن الجوزي رحمه الله فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: أَحْسَنُ الْخالِقِينَ وقوله: هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ.

فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجِد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير:

وبعض القومِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْرِي.

فهذا المراد ها هنا، أن بني آدم قد يصوِّرون ويقدِّرون ويصنعون الشيء، فالله خير المصوِّرين والمقدِّرين. وقال الأخفش: الخالقون ها هنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين.[زاد المسير«٢٥٨/٣»]

٤- أول الخلق.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب؟ قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد».

[الترمذي«٢١٥٥»وغيره قال الشيخ الألباني : صحيح]

٥- الحكمة من الخلق.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦

قال العلامة السعدي رحمه الله هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. [تفسير السعدي«٨١٣»]

المسألة الرابعة : معنى قوله رحمه الله : وَرَزَقَنَا فيه مسائل :

١- معنى الرزق.

الرَّزق هو: العطاء. والرِّزق: ما ينتفع به العبد. فالرزق عطاء الله - جل ثناؤه -، ويقال رزقه الله رَزْقاً.

٢- الرازق والرزاق من أسماء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات: ٥٨ فالرزق الذي هو المصدر – رزق يرزق رزقاً- صفة فعلية من صفات الرب - سبحانه -، قائمة بذاته، متعلقة بقدرته ومشيئته، وهي إعطاء الله - تعالى - خلقه ما ينتفعون به.

٣- أنواع الرزق.

والرزق ينقسم إلى قسمين هما:

الأول: الرزق العام وهو: ما أنعم الله تعالى من أمور الدنيا على جميع الخلق من المطاعم والمشارب والملابس والصحة والعافية وغيرها.

الثاني: الرزق الخاص وهو: ما انعم الله به على عبادة المؤمنين دون غيرهم وهو أعظم الرزق وأنفعه وهو التوحيد والهداية والتوفيق لسلوك طريق الجنة.

٤- الرزق لا يكون إلا من الله.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس: ٣١ وقال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر: ٣ وقال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ النحل: ٧٣ وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الملك: ٢١ والآيات كثيرة في هذا المعنى.

قال ابن القيم رحمه الله في [الكافية الشافية «٢/٢٣٤»]:

وكذلك الرزاق من أسمائه... والرزق من أفعاله نوعان

رزق على يد عبده ورسوله... نوعان أيضا ذان معروفان

رزق القلوب العلم والإيمان... والرزق المعد لهذه الأبدان

هذا هو الرزق الحلال وربنا... رزاقه والفضل للمنان

والثاني سوق القوت للأعضاء فـ... ـي تلك المجاري سوقه بوزان

هذا يكون من الحلال كما... يكون من الحرام كلاهما رزقان

والله رازقه بهذا الاعتبار... وليس بالإطلاق دون بيان

المسألة الخامسة: معنى قوله: وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رسولا

بين الله تعالى الغاية من إرسال الرسل وأنه لم يترك الناس هملا فقال: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥ وقال ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥

وبين الله تعالى المهمة الخاصة من بعث الرسل فقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣.

وبين الله تعالى أنه لا يعذب من لم يبلغه الحجة وأنهم من أهل الفترة. فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٥

المسألة السادسة: معنى قوله: فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّار

طاعة النبي - ﷺ - هي الملاذ الآمن للنجاة في الدنيا والآخرة لا يوجد غيرها. ومعصيته ومخالفته هي السبب للهلكة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ النساء: ١٣ – ١٤ فجعل الناس على حالين ناج وهالك.

وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

[البخاري«٧٢٨٠»]

المسألة السابعة: معنى قوله رحمه الله: والدليل

الدليل لغة: الدليل جمعه أدلة وهو المرشد إلى المطلوب.

واصطلاحاً: هو ما يتوصل به إلى معرفة حكم شرعي.

والمقصود به هنا الدليل الشرعي –القرآن والسنة-.

المسألة الثامنة: معنى قوله: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً . . الآية

قال العلامة السعدي رحمه الله يقول تعالى: احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير، الشاهد على الأمة بأعمالهم، واشكروه وقوموا بهذه النعمة الجليلة، وإياكم أن تكفروها، فتعصوا رسولكم، فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران، فدعاه إلى الله، وأمره بالتوحيد، فلم يصدقه، بل عصاه، فأخذه الله أخذا وبيلا أي: شديدا بليغا.[تيسير الكريم الرحمن«٨٩٣»]

وأعظم نعمة على هذه الأمة هي نعمة إرسال النبي ﷺ كما قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤.

قال المؤلف رحمه الله

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨

قوله: أن الله لا يرضى أن يشرك به...هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الرضا ووصف الله به

صفة الرضا لله ـ جل وعلا ـ على ما يليق به ـ سبحانه ـ وهي صفة فعلية يفعلها متى شاء وكيف شاء.

قال الله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ الزمر: ٧

والذي رضيه الله وجعله أسبابا لنيل رضاه هو طاعته بجميع أنواعها رضي الله عنها وعن عاملها. والذي لا يرضاه ورتب عليه سخطه هو معصيته فالله لا يرضاها ولا يرضى عمن عصاه. وسيأتي بيان هذا في القواعد المثلى وغيرها من الكتب.

المسألة الثانية: معنى الشرك وحكمه وأقسامه وما يترتب عليه ففيه مسائل

وهي

١- تعريف الشرك

الشرك لغة: مأخوذ من المشاركة.

واصطلاحاً: هو أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره: بالحب، أو التعظيم، أو اتبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم ﷺ فهو مشرك.

٢- أقسام الشرك.

الشرك الأكبر: وهو المخرج من الملة.

الشرك الأصغر: الغير مخرج من الملة ولكنه من أكبر الكبائر.

٣- الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر.

أ- الشرك الأكبر مخرج من الملة والأصغر لا يخرج من الملة.

ب-الشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار والشرك الأصغر تحت مشيئة الله تعالى.

ت-الشرك الأكبر صاحبه كافر والشرك الأصغر صاحبه مسلم

ث-الشرك الأكبر وجب قتاله ودعوته للإسلام والشرك الأصغر لا يقاتل بل يدعى ويعلم أحكام الدين ويأمر بالتزامها.

ج- الشرك الكبر صاحبه لا يصلى عليه ولا يغسل ولا يدفن في مقابر المسلمين وليس له حق من حقوق المسلم والشرك الأصغر يعامل معاملة المسلمين وله حقوق الإسلام.

وذكر العلامة السعدي رحمه الله أن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء وأما حد الشرك الأصغر فهو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة.

[انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد «ص٣١، ٣٢، ٥٤.»]

المسألة الثالثة: خصوصية العبادة لله تعالى دون غيره

العبادة من خصائص الله تعالى والذي يستحق العبادة دون غيره هو الله جل شأنه وتعاظم سلطانه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣ وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ هود: ٢٥ - ٢٦ وقال تعالى ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٣ وسيأتي بيان ذلك في موضعه

المسألة الرابعة: معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨

قال العلامة السعدي رحمه الله أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته. [تيسير الكريم الرحمن«٨٩٠»]

قال المؤلف رحمه الله

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ المجادلة: ٢٢

قوله: أن من أطاع الله ووحده...هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى كلام المؤلف هنا وترابط كلامه.

ذكر المؤلف رحمه الله في هذه المسألة ثلاثة أمور وهي: طاعة رسوله ﷺ. ثم ذكر توحيد الله تعالى. ثم ذكر البراءة من الشرك وعند التمعن لهذا الكلام يتبين لك أن هذا معنى الشهادتين.

فالأولى: طاعة النبي ﷺ وهذا قوله أن من أطاع الرسول.

والثانية: توحيد الله.

والثالثة: وهي التي لا تصح الشهادة إلا بها وهي البراءة من الشرك وسيأتي أدلتها.

وهذا من عظيم وغزارة علم المؤلف رحمه الله وليس من كَتَبَ شيئا وسود الصفحات كحالنا فقد بلغ العلم ولكن العلم يعرف عند أهله ولك أن ترى تبويبات الإمام البخاري رحمه الله وما تحمل فيها من المعاني البديعة مما زاد كتابه جمالاً إلى جمال. فرحم الله إمامنا ومصنفنا وصاحب كتابنا الإمام النجدي وغفر لنا وله.

المسألة الثانية: معنى طاعة الرسول ﷺ وأهميتها

قال ابن حبان رحمه الله وطاعة الرسول هي: الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئا في دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة. [صحيح ابن حبان «١/ ١٥٣»]

قال الإمام أحمد رحمه الله نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا. [الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص ٥٦»]

وقال الإمام الآجري رحمه الله فرض على الخلق طاعته ﷺ في نيف وثلاثين موضعا من كتابه عز وجل. [الشريعة «ص ٤٩»]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. [مجموع الفتاوى «١٩/ ١٠٣»] وأما أهميتها فتتجلى لنا في الأدلة الآتية:

١- قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ النساء: ٨٠

٢- وقال الله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النور: ٥٢

٣- وقال الله ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾ الفتح: ١٧ ولاشك أن هذه الطاعة لها ثمار ينالها كل من أطاع النبي ﷺ في الدنيا والآخرة وهي كثيرة ليس هذا موضع ذكرها لكثرتها.

المسألة الثالثة: معنى الموالاة والتحذير منها

الموالاة في اللغة لها عدة إطلاقات هي المحبة، والمودة، والمتابعة، والقرابة، والنصرة. وأدلة هذا كثيرة

وشرعاً: لا يخرج معناها الاصطلاحي عن اللغوي.

وأما أدلة التحذير من موالاة أعداء الله ورسول ودينه فأكثر مما تحصر نذكر إشارة إلى بعضها:

١- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ التوبة: ٢٣

٢- وقال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩ ﴾ النساء: ٨٩

٣- وقال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾ آل عمران: ٢٨

٤- **وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: « لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ». [ابن ماجة «٢٥٣٦» وحسنه الألباني في الإرواء: «١٢٠٧»]

٥- **وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عبد اللهِ الْبَجَلِيِّ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -: «مَنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ». [سنن البيهقي «١٧٥٢٨»، الطبراني «٢٢٦١»، انظر: صَحِيح الْجَامِع «٢٧١٨، ٦٠٧٣»، الصَّحِيحَة « ٧٦٨»]

٦- **ويقول سفيان الثوري** رحمه الله من لات للكفار دواة أو برا لهم قلما أو ناولهم قرطاسا فقد دخل في الموالاة المنهي عنها ما لم يكن ذلك لغرض دعوة إلى الله.

٧- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها: ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض صاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له[الإبانة لابن بطة«٤٤٠»]

المسألة الرابعة: أقسام الموالاة

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله إن الموالاة تنقسم إلى قسمين.

أولا: موالاة مطلقة عامة، وهذه كفر صريح، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكفار، وأن من والاهم فقد كفر.

ثانيا: موالاة خاصة، وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والردة كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في إفشاء سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزو مكة كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة. اهـ.[انظر الدرر السنية «١/ ٢٣٥-٢٣٦»]

المسألة الخامسة: صور موافقة الكفار

موافقة المشركين تنقسم إلى ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن، فينقاد لهم بظاهره، ويميل إليهم ويوادهم بباطنه، فهذا النوع كفر يخرج من الإسلام.

الحالة الثانية: أن يوافقهم ويميل إليهم بباطنه مع مخالفته لهم في الظاهر، فهذا أيضا كفر، ولكن إذا عمل بالإسلام ظاهرا، عصم ماله ودمه وعومل بحسب ظاهره، وهذا هو المنافق، الذي يظهر الإسلام ويبطن مودة الكفار ومناصرتهم.

الحالة الثالثة: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو على وجهين:

١ - أن يفعل ذلك وهو في سلطانهم، وتحت ولايتهم، مع ضربهم له وحبسه، وتهديده بالقتل والتعذيب، مع مباشرة التعذيب فعلا، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، كما جري لعمار بن ياسر رضي الله عنه حيث أنزل الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ النحل: ١٠٦

٢ - أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم وإنما حمله على ذلك، إما طمع في رياسة، أو فقد منصب، أو مال أو مشحة بوطن أو عيال، أو خوف مما يحدث في المال فإنه يكون على خطر عظيم ويخشى عليه من الكفر فقد اختلف أهل العلم في هذه الصورة والله اعلم.

المسألة السادسة: معنى المحادة لله ورسوله وعظيم جرمها وأقسامهما

المحاداة لها معنيان من حيث اللغة: معنى عام ومعنى خاص.

فالعام هو بمعنى المخالفة لكل ما جاء به النبي ﷺ وهو يشمل الكفار وأهل البدع وأصحاب المعاصي.

والخاص وهو: بمعنى المحاربة والمعاداة وهذا يشمل الكفار وأعداء الدين وهو قول لبعض أهل العلم.

والمحادة اصطلاحا لا تخرج عن المعنى اللغوي وهي: كل ما خالف وعادى دين الله فقد حاده.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣ ﴾ التوبة: ٦٣

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ الأنفال: ١٣

قال ابن الجوزي رحمه الله وهذه الآية قد بيَّنتْ أن مودَّة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوالِ كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته.[زاد المسير«٤/٤٤٠»]

المسألة السابعة: النفي في قوله: لا تجد قوما يؤمنون... الآية هل هو نفي صحة أم نفي كمال؟

قال العلامة السعدي رحمه الله لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.[تيسير الكريم الرحمن«٨٤٨»]

وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله وهذه الآية قد بيَّنتْ أن مودَّة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوالِ كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته. [زاد المسير«٦/٣»]

فالنفي هنا نفي صحة وهذا على أساس المعنى الخاص وهو المحارية والعداء لله ورسوله ودينه وليس بالمعنى العام الذي هو المخالفة فليس كل من خالف الشريعة يكون كافر بل يكون عاص لله ورسوله ﷺ.

وقال العلامة القنوجي رحمه الله ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ المجادلة: ٢٢ إيماناً صحيحاً، بحيث يتوافق فيه الظاهر مع الباطن. [فتح البيان«١٤/ ٣٣»]

الأصول الثلاثة :

قال المؤلف رحمه الله

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعبد اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦. **وَمَعْنَى ؟يَعْبُدُونِ؟: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى** ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ النساء: ٣٦

قوله: اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ..هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى : معنى الرشد وفضله

الرشْد: خلافُ الغَيّ، وهو من الهداية والصواب.

الرشيد: هو الذي قوله رُشْد وفعله كله رُشد وصواب، وهو مُرشد الحيران الضال، فيهديه إلى الصراط المستقيم بياناً وتعليماً وتوفيقاً.

كان طلب الرشد مطلب أهل الكهف قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ الكهف: ١٠ وكان غاية طلب العلم من موسى طلب الرشد قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾

الكهف: ٦٦ وكان الغاية من الإسلام اتباع الرشد والهداية إلى الصواب قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ الجن: ١٤

المسألة الثانية: معنى الحنيفية

الحنيف في اللغة: على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه المتَّبِع. قاله مجاهد. **والثاني:** المُخلِص. قاله عطاء. **والثالث** : المستقيم. قاله القرظي.[زاد المسير«٣١٦/٣» ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام«٣٢/٢٨»]

وشرعاً: هو المقبل على الله المعرض عما سواه.[انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام«٩/ ٣١٩»]

تنبيه: وأما من قال أن الحنيف هو المائل عن الشرك وقد درج عليه جماعة من المؤلفين فلا يصح من أوجه:

١- مخالف للمعنى اللغوي الصحيح فلم يأت أن معناها الميل كما ذكر ابن الجوزي.

٢- ومن قال أن الحنيف يلزم منه الميل كما ذكر ابن القيم فهذا تعريف الشيء بلازمه وهذا التعريف ليس بالحد والماهية للشيء. ولذلك قال ابن القيم: فالميل لازم معنى الحنيف لا أنه موضوعه لغة. [مفتاح دار السعادة«١٧٤/١»]

٣- ويستلزم من معنى الميلان كونه كان على الشرك ثم مال عنه وهذا لا يصح.

٤- كون السير إلى الله موصوف بالميلان والعدول عن الشيء وهذه لا يصح لأن الله وصف الطريق الموصل إليه بالمستقيم فقال: ﴿ وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ

﴿١٢٦﴾ ﴿ الأنعام: ١٢٦ وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣ وغيرها من الآيات.

المسألة الثالثة: معنى الحنيفية السمحة وبيان خصائصها

تقدم بيان الحنيف، ومعنى السمحة أي السهلة اليسيرة التي ليس فيها كلفة.

ومن فضائلها أنها من أحب الأديان إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ الحج: ٧٨

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللهِ ، الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ». [أحمد «٢١٠٧» وغيره، صَحِيح الْجَامِع: «١٦٠»، الصَّحِيحَة: «٨٨١» وجاء عن ابن عباس وهذا لفظ أبي هريرة]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومعنى أحبّ الدين: أي خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كَانَ منها سمحا: أي سهلا، فهو أحب إلى الله، ويدل عليه ما أخرجه أحمد، بسند صحيح، منْ حديث أعرابي لم يسمه، أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: «خير دينكم أيسره»، أو الدين جنس: أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية، والمراد بالأديان الشرائع الماضية، قبل أن تُبَدَّل، وتنسخ، والحنيفية ملة إبراهيم. [كما في ذخيرة العقبى «٣٧/٣٧١»]

قال المؤلف رحمه الله

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم.

قوله: فإذا قيل لك: ما الأصول...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي

هذا هو مضمون الكتاب ولبه وخلاصته وما تقدم كما بينا إنما هي مقدمات لتقرير هذه الأمور الثلاثة وقد أُرشد إليها الشرع في جملة أدلة منها:

عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عبد الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا». [مسلم «٣٤»]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول اللَّه - ﷺ - قال: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيتُ باللَّه ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا غُفر له». [مسلم «٣٨٦»]

قال ابن هبيرة رحمه الله وقوله: «رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينًا، فهذا ترتيب يدل على كمال التوفيق، فإنه بدأ بذكر الله ثم عقبه بذكر رسوله ثم ثلث بذكر الإسلام. ومعنى: رضيت بالله ربًا»؛ أي لست بمكره على ذلك بل أنا راض. [الإفصاح«١/٣٤٧»]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: أن رسول اللَّه - ﷺ - قال: «من قال: رَضِيتُ باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ - ﷺ - رسولًا، وَجَبَتْ له الجنة». [مسلم «١٨٨٤»]

وَعَنْ الْمُنْذِرِ الْإِفْرِيقِيِّ رضي الله عنه صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ لآخُذَ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ». [رواه الطبراني«٨٣٨» انظر الصَّحِيحَة: «٢٦٨٦»، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: «٦٥٧»]

عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ رحمه الله قَالَ: مَنْ خَافَ مِنْ أَمِيرٍ ظُلْمًا فَقَالَ: رَضِيت بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ حَكَمًا وَإِمَامًا ، أَنْجَاهُ اللهُ مِنْهُ. [انظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: «٢٢٣٩»]

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال :خرجنا مع رسول الله - ﷺ - فقال :«إنّ الميّت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين حين يقال له :يا هذا، من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟». وفي رواية :«ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له :من ربّك؟ فيقول :ربّي الله، فيقولان له :ما دينك؟ فيقول :ديني الإسلام، فيقولان له :ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فيقول :هو رسول الله، فيقولان له :وما يدريك؟ فيقول :قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدّقت» [أبو داود «٣٢١٢» وصححه الألباني]

[الأصل الأول : معرفة الله]

قال المؤلف رحمه الله

معرفة الرب.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ الفاتحة: ٢. **وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.**

قوله: معرفة الرب...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي

ابتدأ المؤلف رحمه الله هنا ببيان لب الكتاب وحقيقة هذه الأصول العظيمة وسيفردها المؤلف كما ستراه ويبين أمثلة عليها فرحمه الله وأكرم نزله وغفر لنا وله. فأرعاه سمعك وبصرك وقلبك لعل الله ينفعنا وإياك بها إنه جواد كريم وقد بينا ولله الحمد بعض ما يتعلق بهذه الأمور ومسائلها نسأل الله أن يكتب لنا وله ولمن قرأ وعلم وتعلم الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة فنقول:

المسألة الأولى : معنى الرب

الرب في اللغة يراد به المالك، والخالق، والسيد، والمدبر، والمربي، والمصلح، والقيم، والمنعم.

وفي الاصطلاح: الرب هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه؛ بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم. [تيسير الكريم الرحمن للسعدي «٢١/١»]

فالرب: هو الله - عز وجل - وهو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك جل في علاه.

المسألة الثانية: هل يطلق على غير الله رب؟

الرب من أسماء الله تعالى الخاصة به وليس بلفظ مشترك بين الخالق والمخلوق مثل الكريم والرحيم والرؤوف والحليم وغيرها ولكن قد يطلق على غير الله تعالى من باب الإضافة فقط فيقال رب الدار رب السيارة وربات الحجال. ولفظ الرب هنا تكون بمعنى صاحب ومالك الشيء.

المسألة الثالثة: أنواع الربوبية

الربوبية تكون على نوعين هما:

الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛ وهي خلقُه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا وإذعانهم له وأنهم تحت تصرفه عبيدا له لا يخرجون عن سلطانه وعما أراده بهم ولا يمتنعون عنه سبحانه وتعالى. كما قال الله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ مريم: ٩٣ - ٩٥

والربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، والهداية، والنصرة، والتوفيق، وتحبيب الإيمان لهم وتبغيض المخالفة لأمره، والعناية التامة بهم حتى يوافوه على الإيمان. كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

الحجر: ٤٢ وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ وقال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣

قال المؤلف رحمه الله

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ فصلت: ٣٧

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤

قوله: فإذا قيل بم عرفت ربك...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: قوله: فإذا قيل لك: بم عرفت ربك. كيف يُعرف الله تعالى؟

يعرف الله تعالى بدلالة الوحي والفطرة والعقل السليم. وقد تكلم ابن كثير رحمه الله في تفسيره بكلام جيد في إثبات هذه الدلالة بما يشفي ويكفي فراجعها إن أردت عند الآية «٢١» من سورة البقرة.

وقال العلامة السعدي رحمه الله والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون - قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد- على تكرر الباطل والشبه -إلا نموا وكمالا.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير- وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته -فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.[تيسير الكريم الرحمن«٧٨٧»].

المسألة الثانية: ماهي معرفة الله التي يحصل بها الإيمان والتي لا يصح بها الإيمان؟

قال ابن القيم رحمه الله معرفة الله سبحانه نوعان معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي.

والثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية على لسن القوم وتفاوتهم فيهالا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم.[الفوائد«١٧٠»]

فمعرفة الله تعالى على قسمين:

أولاً:معرفة مجملة مقبولة من العبد بأن الله له الخالق والرازق والمدبر للأمور كلها وأن العبادة لا تصح إلا له ومعرفته بأسمائه وصفاته إجمالاً وهذا هو الأيمان الواجب الحصول عليه ومعرفته والعلم ب والذي لا يقبل الإيمان إلا به.

ثانياً:ومعرفة مفصلة بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مما بينه الله تعالى وذكر أمر ربوبيته وفصلها وألوهية وعبادته وفصلها وأسمائه وصفاته وفصل ذلك. وهذا هو الإيمان الكامل لمن حصل عليه وعلم به. العلم الذي اتصف به أهل العلم وأثنى الله عليهم به وجعلهم من الشهود على وحدانيته بما حصل لهم من العلم بالله تعالى وأفعاله وأسمائه وصفاته لا إله إلا هو فهو أشرف العلوم وأجلها.

قال ابن القيم رحمه الله كمال الإنسان مداره على أصلين : معرفة الحق من الباطل، وإيثار الحق على الباطل، وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة، إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين. [الجواب الكافي «ص ٩٩»]

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله فرض على كل أحد، معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل، ولا يجوز التقليد في ذلك، لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه ورسالة مُحَمَّد ﷺ ويؤمن بالبعث بعد الموت، والجنة والنار، ويعتقد أن هذه الأمور الشركية التي تفعل عند هذه المشاهد باطلة وضلال، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه فهو مسلم، وإن لم يترجم بالدليل، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل، فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً. [الدرر السنية «٣٣٩/٤»]

المسألة الثالثة : فوائد معرفة الله تعالى

١- أصل الدين والوحي لمعرفة الله وحقه سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله مفتاح الدعوة الإلهية، معرفة الرب تعالى. [الصواعق المرسلة «١٥١/١»]

٢- من أسباب محبة الله.

قال ابن القيم رحمه الله من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبَّه لا محالة. [مدارج السالكين «٣/ ١٧»]

٣- من أسباب اللذة والسرور.

قال شيخ الإسلام رحمه الله اللذة والفرحة، والسرور وطيب الوقت، والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به. [فتاوى شيخ الإسلام «٢٨/ ٣١»]

المسألة الرابعة: آيات الله تنقسم إلى قسمين هما

الآيات الكونية: وهي التي أشار إليها المؤلف.

الآيات الشرعية: وهي الوحي من الكتاب والسنة.

وكلها آيات دالة على الله تعالى ووجوده ووحدانيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قال المؤلف رحمه الله

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴾ البقرة: ٢١ - ٢٢.

قول: والرب هو المعبود ...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الرب تقدم بيانه

المسألة الثانية: العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

التوحيد لا يكمل لأحد إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة فهي متكاملة متلازمة يكمِل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله. فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان.

وقد أوضح بعض أهل العلم هذه العلاقة بقوله: «هي علاقة تلازم وتضمن وشمول».

١- فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

٢- وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

٣- وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا.

بيان ذلك: أن من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى، لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، لأن من عبد الله ولم يشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معًا، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرب- الخالق- الرازق- الملك، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: الله- الغفور- الرحيم- التواب، وهذا هو توحيد الألوهية. [انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان «٤٢١-٤٢٢»]

المسألة الثالثة: ماهي الفرق التي خالفت في توحيد الربوبية

اعلم أصلح الله حالي وحالك أنه لم ينكر وجود رب معبود أحد إلا الدهرية الذين أنكروا خالقاً لهذا الكون كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤ ومن أنكر الرب تعالى إنما هم على أصناف:

الصنف الأول: فمنهم من أنكر الرب جملة وتفصيلا وهم الدهرية.

الصنف الثاني: منهم من أثبت الرب لهذا الخلق ولكن لم يجعل هذا الرب الخالق هو الله بل غيره مثل المجوسية وغيرهم.

الصنف الثالث: منهم من أثبت الرب لهذا الخلق وهو الله ولكن أشرك معه غيره في الربوبية كما سيأتي وهم أصناف ولذلك نبين شرك الطوائف في توحيد الربوبية وهم على التفصيل:

١- **المجوس**: قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

٢- **النصارى القائلون بالتثليث**: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم. أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

٣- **القدرية**: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

٤- **الفلاسفة الدهرية**: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث.

٥- **عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم**: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٦- **غلاة الصوفية**: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيءٍ

٧- **الروافض**: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

٨- **النُصيرية**: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله - عز وجل - مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويُسَمَّون بـ: الشمسية. وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمَّون بـ: القمرية.

٩- **الدروز**: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافٍ لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

١٠- **من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء**: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون - رجماً بالغيب - إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا ـ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

قال المؤلف رحمه الله

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

قوله: قال ابن كثير : الخالق...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى : من هو ابن كثير رحمه الله

اسمه:

هو الإمام العلامة، ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين وعلم المفسرين، الحافظ الكبير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي.

مولده:

سنة سبعمائة، وقدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه.

نشأته وطلبه للعلم ومنهجه:

تفقه بالبرهان الفزاري والكمال بن قاضي شهبة، ثم صاهر المزي ولازمه وصحب ابن تيمية، وسمع من ابن عساكر. وكان رحمه الله جيد الحفظ والفهم، مستقل الرأي، يدور مع الدليل حيث دار ولا يتعصب لمذهب وكان شافعيا المذهب سلفي المعتقد رحمه الله.

أقوال أهل العلم فيه:

قال عنه الذهبي رحمه الله الإمام المحدث المفتي البارع فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر نقال.

وقال تلميذه شهاب الدين بن حجي: كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها. وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك. وكان يستحضر كثيرا من التفسير والتاريخ، قليل النسيان. وكان فقيها جيد الفهم صحيح الذهن.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله ولازم المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه، وامتحن بسببه، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة،

سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته. وقال ابن حبيب: إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بأقواله وشنف، وحدث وأفاد، وطارت فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. وهو القائل:

تمر بنا الأيام تترى وإنما... نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى... ولا زائل هذا المشيب المكدر

له مؤلفات كثيرة: كـ'التفسير' و'البداية والنهاية' و'جامع المسانيد والسنن' وغير ذلك.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

المسألة الثانية: تخريج كلامه رحمه الله وبيان معناه

أعلم سددني الله وإياك أني لم أجد هذا الكلام بنصه ولكن وجدته بمعناه فقد ذكره ابن كثير رحمه الله معناه في مواضع من تفسيره وهي:

١- عند قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ طه: ٧٢ قال: يعنون: لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت.

٢- و قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ الحج: ١٨ قال: يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به.

٣- وقوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الصافات: ١٢٥ قال: أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ومعنى كلامه واضح وهو بيان العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فإن الذي خلق هو الذي يستحق العبادة دون غيره.

قال المؤلف رحمه الله

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ،

قوله: أنواع العبادة التي...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف العبادة

العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهي تتضمن غاية الذل والحب.

المسألة الثانية: أقسام العبادة

اعتقادية مثل الخوف والرجاء والمحبة والخشية.

قوليه: مثل الذكر وقراءة القرآن والدعاء.

فعليه: مثل الحج والصلاة.

مالية: مثل الصدقة.

تركية: وهي البعد عن المحرمات كبائر وصغائر.

المسألة الثالثة: شروط قبول العبادة

لا تقبل العبادة إلا بشرطين هما:

الإخلاص: لله تعالى بالعبادة.

المتابعة: للنبي ﷺ فلا يعبد الله إلا بما شرع وهذان الشرطان هما معنى لا إله إلا الله

المسألة الرابعة: قوله: مثل الإسلام والإيمان والإحسان

هذه تسمى مراتب الدين ودليلها حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو ما يسمى حديث جبريل وسيأتي بيانها في موضعها.

قال المؤلف رحمه الله

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ.

قوله: ومنه الدعاء. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الدعاء

الدعاء لغة هو: الطلب والابتهال: يُقال: دعوتُ الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير.

وشرعاً: هو إظهار غاية التّذلّل والافتقار إلى الله والاستكانة له لجلب ما ينفع وكشف ما يضر في الدنيا والآخرة.

المسألة الثانية: : أدلة الدعاء

١- قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦

٢- وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل: ٦٢

٣- **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «إنّه من لم يسأل الله يغضب عليه»[

الترمذي «٣٣٧٣» واللفظ له. وابن ماجة «٣٨٢٧» قال الشيخ الألباني : صحيح]

المسألة الثالثة: أنواع الدعاء والعلاقة بينهما

١- دعاء عبادة: وهو طلب الثواب بالأعمال الصالحة: كالنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والذبح لله، والنذر له، وبعض هذه العبادات تتضمن الدعاء بلسان المقال مع لسان الحال كالصلاة. فمن فعل هذه العبادات وغيرها من أنواع العبادات الفعلية فقد دعا ربه وطلبه بلسان الحال أن يغفر له.

٢- دعاء مسألة وهو: دعاء الطلب: طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، وطلب الحاجات.

والعلاقة بينهما هي: أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة

المسألة الرابعة: شروط الدعاء وآدابه

١- الإخلاص.

٢- المتابعة.

٣- الثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة

٤- حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب.

٥- رد المظالم.

المسألة الخامسة: موانع الدعاء

١- أكل الحرام.

٢- الذنوب والمعاصي.

٣- الاستعجال.

٤- بالدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

٥- ترك الواجبات.

٦- الدعاء بالشيء الذي لا يستحقه العبد أو المستحيل.

المسألة السادسة: أنواع الدعاء وحكمه

الدعاء يكون على حالين هما:

١- دعاء الله تعالى وهذا هو العبادة وغاية التوحيد.

٢- دعاء غير الله تعالى وهذا هو الشرك.

قال المؤلف رحمه الله

وَالْخَوْفُ.

قوله: والخوف. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الخوف

الخوف لغة هو: الذعر والفزع.

شرعاً هو: اضطراب القلب وتألمه لحلول مكروه أو فوات محبوب.

المسألة الثانية: أدلة الخوف

١- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥

٢- وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ غافر: ٣٠

٣- **قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه**: «لو نادى مناد من السّماء: أيّها النّاس إنّكم داخلون الجنّة كلّكم إلّا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو»[التخويف من النار لابن رجب «ص ١٧»]

٤- **قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه**: «إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه جالس في أصل جبل يخشى أن ينقلب عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا»[شرح السنة للبغوي «١٤/ ٣٧٤»]

المسألة الثالثة: أنواع الخوف

١- خوف العادة وهو: ما كان خوفا جبليا كأن يخاف من أسد أو ظالم وغيره.

٢- خوف عبادة وهو: خوف السر وهو ما كان ممن يُعتقد أن له تصرفاً في الكون خارج عن الأمور المحسوسة وهو على حالين:

أ- خوف من الله تعالى وهو من أعلى مقامات التوحيد.

ب-خوف من غير الله وهو الشرك الذي يخرج صاحبه من الجنة.

٣- الخوف من وعيد الله: الذي توعد به العصاة، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وهو درجات، ومقامات.

المسألة الرابعة: أنواع الناس في الخوف

والناس في مسألة الخوف على أقسام:

١- منهم من يخاف الله حتى يصاب بالقنوط واليأس كما قال الله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥٦

٢- ومنهم من لا يخاف فهو آمن من مكر الله وعقابه. كما قال الله: ﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾ المدثر: ٥٣

٣- ومنهم من يخاف الله تعالى ويعمل بمقتضى ذلك الخوف بالإقبال على طاعته والبعد عن معصيته. كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥

وقال: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المائدة: ٢٨

٤- ومنهم من عنده نوع خوف من الله ولكنه يتلاعب ولا يستعد وهذا هو الخائف الكذاب كما قال الله عن الشيطان ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا

لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال: ٤٨ وقال: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحشر: ١٦

قال المؤلف رحمه الله

وَالرَّجَاءُ.

قوله: والرجاء. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الرجاء

الرجاء لغة: هو نفسه الرجاء كلمة لا تُعرْف ومنهم من قال هي الأمل في انتظار الشيء.

شرعا: هو الاستبشار بجود فضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

المسألة الثانية: أدلة الرجاء

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨

٢- وعن أنس رضي الله عنه قال: «أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال: كيف تجدك؟ قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف». [الترمذي « ١ / ١٨٣ - ١٨٤ » و حسنه و ابن ماجه « ٤٢٦١ »وهو في الصحيحة «١٣٨٤»]

٣- وقال الشّافعيّ رحمه الله في مرض موته[دليل الفالحين، لابن علان «٢/ ٣٦١»]:

فلمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي... جعلت الرّجا منّي لعفوك سلّما

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنته... بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

٤- وقال أحمد بن العبّاس النّمريّ رحمه الله [حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا «١٠٠»]:

وإنّي لأرجو الله حتّى كأنّني *** أرى بجميل الظّنّ ما الله صانع

المسألة الثالثة: أنواع الرجاء

الرجاء على ثلاثة أنواع

١- رجاء عادة وهو: رجاء الخير والمنفعة من الغير فيما يقدر عليه.

٢- رجاء عبادة وهو على قسمين:

أ- رجاء توحيد وهو رجاء الله تعالى في كل مطلوب ودفع كل مرهوب. فهو رجاءُ رجلٍ عمل بطاعة الله على نور من الله؛ فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه، وإحسانه، وجوده، وحِلمه، وكرمه.

ب- رجاء شرك وهو رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

المسألة الرابعة: شروط الرجاء

الرجاء لا يكون صحيحاً إلا بشرط واحد وهو العمل فلا يرجو غير عامل.

فقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل. أما ترك العمل، والتمادي في الذنوب؛ اعتماداً على رحمة الله، وحسن الظن به عز وجل فليس من الرجاء في شيء. بل هو جهل، وسفه، وغرور؛ فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين، المعاندين، المُصِرّين.

قال ابن القيم رحمه الله في شأن المتمادين في الذنوب؛ اتكالاً على رحمة الله: وهذا الضرب في الناس قد تعلق بنصوص الرجاء، واتّكل عليها، وتعلق بكلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا، والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله، ومغفرته، ونصوص الرجاء. وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب. [الجواب الكافي لابن القيم «٦٧ رضي الله عنه ٦٨»]

قال المؤلف رحمه الله

وَالتَّوَكُّلُ.

قوله: والتوكل. هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: تعريف التوكل

التوكل لغة هو: الاعتماد على الغير.

شرعا: هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى والثقة به في جلب نفع أو دفع ضر.

المسألة الثانية: أدلة التوكل

١- قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

٢- وقال الله: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ النمل: ٧٩

٣- **وعن ابن عبّاس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « يخل من أمتى الجنة يوم القيامة سبعون ألف بغير حساب ولا عقاب» ثم قال: «هم الّذين لا يسترقون ولا يكتوون،وعلى ربّهم يتوكّلون» [البخاري«٦٥٤١، ٥٧٠٥»، مسلم «٢٢٠»]

٤- **قال سعيد بن جبير** رحمه الله «التّوكّل على الله عزّ وجلّ جماع الإيمان»[الزهد لهناد بن السري «١/ ٣٠٤»]

٥- قال ابن القيّم رحمه الله «التّوكّل من أقوى الأسباب الّتي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم»[التفسير القيم لابن القيم «٥٨٧»]

المسألة الثالثة: أنواع التوكل وحكمه.

الاعتماد على الغير يكون على أقسام وهو:

١- التوكل على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار الدنيوية والأخروية وهذه هو التوحيد.

٢- التوكل على غير الله تعالى كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت في تحقيق المطالب الخاصة بالله من النصر والحفظ والرزق أو الشفاعة فهذا شرك أكبر.

٣- التوكل على الأسباب والاعتماد عليها مع الاعتقاد أن الله تعالى لا يجري شيء إلا بإذنه وإرادته فهو جائز ولكنه نقص في كما التوحيد.

٤- التوكل على الأسباب والاعتماد عليها وأن لها تصرف وقدرة فهذا شرك أكبر.

٥- التوكل والاعتماد على الأسباب مع عدم التفات القلب إلى الله تعالى وأن الأمور بيده وهذا شرك أصغر.

٦- التوكيل وهو الاعتماد على الغير في القيام ببعض التصرفات عن طريق الاستنابة فهذا جائز ولكن ينبغي أن يلتفت بقلبه أن الذي يُسهل للوكيل الأمور هو الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله

وَالرَّغْبَةُ.

قوله: الرغبة. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الرغبة

الرغبة لغة تدل على أمرين هما: طلب الشيء وسعته. يقال رغبت في الشي إذا طلبته، ويقال شيء رغيب أي: واسع وحوض رغيب أي واسع.

شرعاً: هو الاجتهاد في طلب الشيء والحرص عليه.

المسألة الثانية: أدلة الرغبة

١- قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ التوبة: ٥٩

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾ الشرح: ٨

٣- قال الشّاعر[مدارج السالكين «٢/ ٥٨»]:

ومتى تصبك خصاصة، فارج الغنى... وإلى الّذي يعطي الرّغائب، فارغب

المسألة الثالثة: أنواع الرغبة

الرغبة لها أنواع وهي:

١- الرغبة إلى الله تعالى وهذا هو التوحيد.

٢- الرغبة إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وهذا شرك أكبر.

٣- الرغبة لغير الله فيما يقدر عليه مع اعتقاد أن الأمر بيد الله فهذا جائز.

٤- الرغبة في طلب الحق الواجب له والحرص عليه وهذا مباح.

قال المؤلف رحمه الله

والرهبة.

قوله: الرهبة هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الرهبة

الرهبة لغة تدل على أمرين هما: الخوف والدقة والخفة في الشيء. كما قال الله: ﴿ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ ﴾ القصص: ٣٢

شرعاً هو: شدة المخافة مع التحرز والاضطراب.

المسألة الثانية: أدلة الرهبة

١- قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ الزمر: ٦٧

٢- وقال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ ﴾ البقرة: ٤٠

٣- وقال تعالى ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ ﴾ النحل: ٥١

٤- **وعن أبي هريرة رضي الله عنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النّار إلى ربّها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشّتاء ونفس في الصّيف، فأشدّ ما تجدون من الحرّ، وأشدّ ما تجدون من الزّمهرير». [البخاري «٣٢٦٠»، ومسلم «٦١٧»]

٥- **وبكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه**، فقيل له: ما يبكيك؟. فقال: «أما إنّي لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلّة زادي، وإنّي أمسيت في صعود على جنّة أو نار، لا أدري إلى أيّتهما يؤخذ بي» [شرح السنة، للبغوي «١٤/ ٣٧٣»]

المسألة الثالثة: أنواع الرهبة

الرهبة لها أنواع وهي:

١- الرهبة من الله تعالى وهذا هو التوحيد.

٢- الرهبة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وهذا شرك أكبر.

٣- الرهبة من غير الله فيما يقدر عليه مع اعتقاد أن الأمر بيد الله فهذا جائز.

٤- الرهبة من فوات الحق الواجب له والتحرز من ضياعه وفقدانه وهذا مباح.

قال المؤلف رحمه الله

وَالْخُشُوعُ.

قوله: الخشوع. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الخشوع

الخشوع لغة: هو الانخفاض والذل والسكون قال الله تعالى﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ طه: ١٠٨.

شرعا: هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره فإذا خشع القلب تبعته الجوارح والأعضاء.

قال ابن القيم رحمه الله وأجمع العارفون أن الخشوع في القلب وثمرته في الجوارح.[المدارج«١/٥٢١»]

المسألة الثانية: أدلة الخشوع

١- قال الله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ٢

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٩ – ٩٠

٣- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٩

٤- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «من تواضع لله تخشّعا، رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظّما، وضعه الله يوم القيامة»[الزهد للإمام وكيع بن الجراح «٢/ ٤٦٧»]

٥- عن الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٠. قال: «الخوف الدّائم في القلب»[الزهد لابن المبارك «٥٥»]

المسألة الثالثة: أقسام الناس في الخشوع

عن سُفْيَانَ رحمه الله قَالَ: كَانَ يُقَالُ: الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ:

١- عَالِمٌ بِاللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ

٢- وَعَالِمٌ بِاللَّهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ، فَذَاكَ الْعَالِمُ الْكَامِلُ

٣- وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ لَا يَخْشَى اللَّهَ، فَذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ. [سنن الدارمي«٣٧٥» بسند صحيح]

المسألة الرابعة: أنواع الخشوع وحكمه

١- خشوع القلب وهذا لا يكون إلا لله ومتى صرفه لغير الله تعالى فهو كفر.

٢- خشوع الجوارح وهذا لا يكون إلا لله ولكن إذا كانت لغير الله من قبر أو صنم أو شجر أو حجر مع اعتقاد القلب تعظيمه أو اعتقاد النفع والضر بيده فهذا شرك أكبر.

٣- خشوع الجوارح بين يدي العالم والوالد والكبير وهذا أمر محمود مالم يكن فيه تجاوز أو غلو أو مخالفة من تنكيس الرأس وغيره فهو مذموم كحال الصوفية ومشائخ الطرق.

قال المؤلف رحمه الله

وَالْخَشْيَة

قوله: الخشية. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الخشية

الخشية لغة هي الخوف مع الذعر. وهذا أخص من الخوف فهي خوف مقرون بمعرفة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر: ٢٨.

وشرعا: هو ما يقوم بالقلب من الخوف المصاحب للتعظيم والقائم على العلم والمعرفة بالشيء الذي يخاف منه.

المسألة الثانية: أدلة الخشية

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ الرعد: ٢١

٢- قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الأعلى: ٩ – ١٠

٣- قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ الزمر: ٢٣

٤- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «والله إنّي لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتّقي» [مسلم «١١١٠»]

٥- قال أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه «إنّ الرّجل ليعمل الحسنة فيتّكل عليها، ويعمل المحقّرات حتّى يأتي الله وقد حظر به، وإنّ الرّجل ليعمل السّيّئة فيفرق منها حتّى يأتي الله آمنا» [الزهد لابن المبارك «٥٢، ٥٣»]

٦- عن مسروق رحمه الله قال: «كفى بالمرء علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعمله». [الدر المنثور للسيوطي «٧/ ٢٠»]

المسألة الثالثة: أنواع الخشية وحكمها

١- خشية عبادة وهذا من أعلى مقامات التوحيد. وهو أنواع:

أ- من الله تعالى وهو أعلاها وأجلها.

ب-من غير الله تعالى إذا كان يعتقد أنه له التصرف والتدبير في الكون أو إلحاق الضرر بالغير استقلالا عن الله تعالى وليس بإرادته فهو كفر أكبر.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ البقرة: ١٥٠ وقال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣

٢- خشية عادة وهو الخوف من المكروه الصادر من الحي القادر الحاضر.

قال المؤلف رحمه الله

وَالإِنَابَةُ.

قوله: الإنابة. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الإنابة

الإنابة لغة هي الرجوع والعود إلى الشيء.

شرعاً: هي الرجوع إلى الله بالتوبة والإسراع إلى مرضاة الله في كل وقت.

المسألة الثانية: أدلة الإنابة

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ الزمر: ١٧

٢- قال الله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ الروم: ٣١

٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ هود: ٧٥

٤- **قال ابن القيّم** رحمه الله «الإنابة هي عكوف القلب على الله- عزّ وجلّ- كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبّته، وذكره بالإجلال والتّعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده، عكف على التّماثيل المتنوّعة. [الفوائد، لابن القيم «١٩٦»]

المسألة الثالثة: أقسام الإنابة

١- إنابة عامة: وهي إنابة المخلوقات لله تعالى يشترك فيها جميع العباد كما قال الله تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الروم: ٣١ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الروم: ٣٣

٢- الإنابة الخاصة وهي رجوع المؤمن والصالح والعبد لله تعالى وهي إنابة الألوهية والعبودية والإقبال إلى الله تعالى. كما قال الله: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزمر: ٥٤

المسألة الرابعة: أنواع الإنابة وحكمها

١- إنابة لله تعالى وهذا هو التوحيد ولا تكون الإنابة إلا إليه.

٢- إنابة لغير الله تعالى وفرار ومسارعة إلى غير الله فهذا شرك بالله أكبر ولا تجوز لا لنبي ولا لولي ولا لأحد.

قال المؤلف رحمه الله

وَالاسْتِعَانَةُ.

قوله: وَالاسْتِعَانَةُ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الاستعانة

الاستعانة لغة: مأخوذة من العون بمعنى المعاونة والمظاهرة على الشّيء، يقال: فلان عوني أي معيني وقد أعنته، والاستعانة طلب العون.

شرعا: قال ابن تيميّة-: «الاستعانة: طلب العون من الله، ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور. [مجموع الفتاوى «١/ ١٠٣»]

المسألة الثانية: معنى الاستعانة

١- قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: ٥

٢- قال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ الأعراف: ١٢٨

٣- عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «يا غلام، إنّي أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء

قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصّحف»[الترمذي «٢٥١٦» وقال الألباني: صحيح]

٤- قال الحسن البصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ وقد كتب إلى عمر بن عبد العزيز: «لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه». [جامع العلوم والحكم «١٨٢»]

المسألة الثالثة: أنواع الاستعانة وحكمها

١- استعانة بالله تعالى في سائر الأمور المتضمنة كمال الذل والحاجة والافتقار وهذا من كمال التوحيد.

٢- استعانة بالأعمال الصالحة وهذا مشروع قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة: ١٥٣ وعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرّحى في يدها، وأتى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبي فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأخبرتها، فلمّا جاء النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها. فجاء النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «على مكانكما» فقعد بيننا حتّى وجدت برد قدمه على صدري، ثمّ قال: «ألا أعلّمكما خيرا ممّا سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبّرا الله أربعا وثلاثين، وتسبّحاه ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»

[البخاري«٥٣٦١»، ومسلم «٢٧٢٧»]

٣- استعانة بالمخلوق الحاضر الحي القادر وهذا جائز ومباح.

٤- استعانة بغير الله فيما هو من خصائص الله تعالى وهذا شرك بالله تعالى.

٥- استعانة بالمخلوق الحي الحاضر الغير قادر وهذا لهو ولغو إلا إذا كان يعتقد أن له تصرف خفي وقدرة خفية فهو شرك.

٦- استعانة بالمخلوق الحي القادر الغائب وهذا إذا كان يعتقد أن لهو قدرة خفية على سمعه وهو في مكان لا يمكن سماعه عرفا فهو شرك.

قال المؤلف رحمه الله

وَالاسْتِعَاذَةُ.

قوله: والاستعاذة. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الاستعاذة

الاستعاذة لغة مأخوذة من من مادّة «ع وذ» الّتي تدلّ على الالتجاء إلى الشّيء.

شرعاً: هي اللّجوء إلى الله- عزّ وجلّ- والاعتصام به من شرّ كلّ ذي شرّ.

المسألة الثانية: أدلة الاستعاذة

١- قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ المؤمنون: ٩٧

٢- وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ مريم: ١٨

٣- عن عائشة رضي الله عنها «أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوّذات، ومسح عنه بيده. فلمّا اشتكى وجعه الذي توفّي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوّذات الّتي كان ينفث وأمسح بيد النّبيّ ﷺ عنه»[البخاري «٤٤٣٩» ومسلم «٢٩١٢»]

٤- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان يعلّمهم هذا الدّعاء. كما يعلّمهم السّورة من القرآن. يقول: «قولوا: اللهمّ إنّا نعوذ بك من عذاب جهنّم. وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدّجّال. وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[مسلم «٥٩٠»]

المسألة الثالثة: أنواع الاستعاذة وحكمها

١- الاستعاذة بالله تعالى من كل مكروه وشر وهي من أعلى مقامات التوحيد.

٢- الاستعاذة بصفات الله تعالى.

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهمّ، لك أسلمت، وبك آمنت. وعليك توكّلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهمّ، إنّي أعوذ بعزّتك، لا إله إلّا أنت، أن تضلّني، أنت الحيّ الّذي لا يموت، والجنّ والإنس يموتون»[البخاري «٧٣٨٤». ومسلم «٢٧١٧» واللفظ له]

٣- الاستعاذة بالأموات والغائبين وهذا شرك بالله تعالى.

٤- الاستعاذة بالمخلوق الحي القادر الحاضر جائز ومباح.

٥- الاستعاذة بالأمكنة والأمور المباحة فيجوز ومباح. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من السّاعي. من تشرّف لها تستشرفه. فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به».[البخاري «٧٠٨١» واللفظ له، ومسلم «٢٨٨٦»]

قال المؤلف رحمه الله

وَالاسْتِغَاثَةُ.

قوله: وَالاسْتِغَاثَةُ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الاسْتِغَاثَةُ

الاستغاثة لغة مصدر استغاث وهو مأخوذ من الغوث بمعنى الإغاثة والنّصرة عند الشّدّة.

شرعاً: قال ابن تيميّة-: الاستغاثة طلب الغوث وهو لإزالة الشّدّة كالاستنصار طلب النّصر، والاستعانة طلب المعونة. [مجموع الفتاوى «١/ ١٠٥»]

المسألة الثانية: أدلة الاستغاثة

١- قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنفال: ٩

٢- وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ القصص: ١٥

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إنّ رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثمّ قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السّبل، فادع الله يغثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثمّ قال:

اللهمّ أغثنا. اللهمّ أغثنا. اللهمّ أغثنا». قال أنس رضي الله عنه ولا والله ما نرى في السّماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التّرس فلمّا توسّطت السّماء انتشرت ثمّ أمطرت قال: فلا والله ما رأينا الشّمس سبتا» قال: ثمّ دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السّبل، فادع الله يمسكها عنّا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثمّ قال: «اللهمّ حولنا ولا علينا، اللهمّ على الآكام والظّراب وبطون الأودية ومنابت الشّجر». فانقلعت، وخرجنا نمشي في الشّمس»[البخاري «١٠١٣»، مسلم «٨٩٧» واللفظ له]

٤- قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق»[مجموع الفتاوى «١/ ١٠٦»]

قال المؤلف رحمه الله

وَالذَّبْحُ.

قوله: وَالذَّبْحُ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى: الذَّبْحُ

الذبح لغة هو الشق والقطع.

شرعاً: هو إراقة الدم بقطع الودجين من الحيوان.

المسألة الثانية: أدلة وَالذَّبْحُ

١- قال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ الكوثر: ٢

٢- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ الأنعام: ١٦٢

٣- وقال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧ ﴾ الحج: ٣٦ – ٣٧

المسألة الثالثة: شروط التذكية

و شروط التذكية خمسة هي:

الأول: أهلية المُذكي: وهو أن يكون مسلما أو كتابيا عاقلا، قال تعالى: ﴿ إلا ما ذكيتم ﴾.

والخطاب للمسلمين.

الثاني: النية : فالنية شرط في صحة جميع الأعمال ومحلها القلب.

الثالث: آلة الذكاة : وهو أن يقطع بآلة محددة غير السن والظفر.

الرابع: قطع الودَجَين لإراقة الدم. وقد اتفق الأئمة على محل الذكاة وهو: الحلق واللبّة ولا يجوز في غيرهما.

الخامس: التسمية: اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في حكم التسمية على الذبيحة.

المسألة الرابعة: أنواع الذبح وحكمه

١- عبادة لله تعالى قد تكون واجبة أو مستحبة مثل العقيقة والأضاحي والهدي والكفارات وغيرها. قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الحج: ٣٤

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ -: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعله فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء». [البخاري«٥٥٤٥» ومسلم«١٩٦١»]

٢- عادة وهي ما كان للحم والبيع أو إكرام الضيف فإذا احتسب كانت عبادة. قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الذاريات: ٢٤ - ٢٧

٣- لغير الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر تعظيماً أو لطلب رضا وغيرها ومنه الهجَر.

قال المؤلف رحمه الله

وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى..

قوله: وَالنَّذْرُ وغير ذلك. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى النَّذْرُ

النذر لغة هو الإلزام يقال نذرت نذرا إذا أوجبت على نفسي عبادة.

وشرعاً: هو إلزام العبد نفسه بعبادة لم يوجبها الله تعالى عليه.

المسألة الثانية: أدلة النَّذْرُ

١- قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ الإنسان: ٧

٢- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحج: ٢٩

٣- وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ التوبة: ٧٥ – ٧٧

المسألة الثالثة: أنواع النَّذْرُ وحكمه

١- نذر طاعة لله تعالى وهذا يجب الوفاء لله تعالى به.

٢- نذر لغير الله من شجر أو حجر أو قبر وهذا شرك بالله تعالى لا يجوز الوفاءُ به.

٣- نذر لإقامة البدع والموالد وهذا بدعة لا يجوز الوفاء به.

٤- نذر في معصية الله وهذا معصية لا يجوز الوفاء به.

وكلها لا يجوز الوفاء بها وليس فيها كفارة إلا نذر الطاعة إذا عجز.

قال المؤلف رحمه الله

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨ **فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧ **وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠ **وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٥ **وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ **وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» [المائدة: ٢٣]. وقوله:** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴾ الطلاق: ٣ **وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٠ **وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ البقرة: ١٥٠ **وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ الزمر: ٥٤ **وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: ٥ **وَفِي الْحَدِيثِ: «...وإذا**

اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ». وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ الفلق: ١ **و** ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ الناس: ١ **وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ الأنفال: ٩ **وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ **وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ». وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ الإنسان: ٧

ثم ساق المؤلف رحمه الله تعالى الأدلة على ما تقدم وفي كلامه التكفير لمن صدر هذا منه ولكن هذا تكفير بالوصف وبقي التكفير وإنزاله على المعين ونحن نشير إلى بعض هذا في مسائل منها:

المسألة الأولى: معنى التكفير

الكفر لغة بمعنى الستر و التغطية، يقال لمن غطى ذراعه بالثوب: قد كفر ذراعه و يقال للمزارع : "كافرا" لأنه يغطي البذر بالتراب، و منه سمي الكفر الذي هو ضد الإيمان "كفرا" لأن فيه تغطية للحق بجحد أو غيره، و قيل: سمي الكافر "كافرا" لأنه قد غطى قلبه بالكفر.

والتكفير شرعا: هو اعتقادات و أقوال و أفعال جاء في الشرع ما يدل أن من وقع فيها ليس من المسلمين.

المسألة الثانية: الفرق بين الوصف والتعيين في التكفير والتبديع وغيرها

المقصود بإطلاق كلمة الكفر على الوصف أي كل من اتصف بهذا الوصف فهو كافر لأنه عمل عملا جاء الدليل من الوحي أن هذا الفعل كفر فهذا يجوز إطلاق الكفر بالوصف على الفعل ولا محظور فيه.

والمقصود بإطلاق الكفر على المعين أي على الشخص في حد ذاته بتعيين شخصه أنه كافراً وهذا لا يجوز إطلاقه إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ولا يكون إلا من أهل العلم لأنهم أعلم بالحجة والبيان وتنزيل الأحكام فتنبه لهذا فإنه مدحضة مزلة إلى الهلاك نسأل الله العافية والسلامة.

وهناك قواعد وضوابط سيأتي بيانها في شروح أخرى لا سيما في كتاب نواقض الإسلام للعلامة النجدي رحمه الله

قال المؤلف رحمه الله

الأَصْلُ الثَّانِي: معرفة دين الإسلام

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ. وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ. المرتبة الأولى: الإسلام. فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ

قوله: معرفة دين الإسلام بالأدلة.... هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى معرفة تقدم بيان العلم

المسألة الثانية: معنى دين الإسلام

الإسلام: لغة هو: الانقياد والإذعان.

وشرعاً: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وأركانُه خمسة وهي: الشهادتان. والصلاة. والزكاة. والصيام. والحج.

المسألة الثالثة: أدلة الإسلام

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥

٣- وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ المائدة: ٣

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي - ﷺ - أنه قال: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

[البخاري «٨» ومسلم «١٦»]

المسألة الرابعة: أنواع الإسلام

١- الإسلام العام.

٢- الإسلام الخاص.

قال شيخ الإسلام رحمه الله وله معنيان: أحدهما: الدّين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الّذي بعث به جميع الأنبياء، والثّاني: ما اختصّ به محمّد ﷺ من الدّين والشّرعة والمنهاج، وهو الشّريعة والطّريقة. [مجموع فتاوى ابن تيمية «٧/ ٢٣٥- ٢٣٦»]

المسألة الخامسة: قوله مراتب الدين

وهي ثلاثة كما بينها النبي ﷺ وهي: ١- الإسلام. ٢- والإيمان. ٣- والإحسان.

أولها وأصلها ومقدمها الإسلام يتقدم الإسلام كلمة التوحيد. ثم الإيمان يقارن بالإسلام ولا يقبل الإسلام إلا بالإيمان ثم أعلاها الإحسان.

قال المؤلف رحمه الله

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨ **وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ ؟لا اله؟ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ؟إلا اللهُ؟ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ. وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزخرف: ٢٨ **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤.

قوله: فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: معنى الشهادتين

الشهادة لغة: من شهد المجلس يشهده شهودا، حضره واطّلع عليه، وعاينه فهو شاهد. قال ابن فارس: الشّهادة الإخبار بما قد شوهد. والشّهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة.

شرعاً: هو الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحقُّ العبادةَ إلا الله، والتزام ذلك والعمل به.

المسألة الثانية: شروط شهادة أن لا إله إلا الله

شروط لا إله إلا الله لها سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها؛ وهي على سبيل الإجمال:

الأول: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقيادُ المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لضدها وهو البغضاء.

المسألة الثالثة: أركان الشهادة

لا إله إلا الله: لها ركنان هما: النفي والإثبات:

١- **النفي**: لا إله: يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكُفرَ بكل ما يعبد من دون الله.

٢- **الإثبات**: إلا الله: يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويُوجب العمل بذلك.

وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

قال المؤلف رحمه الله

ودليلُ شهادةِ أنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ: قولُهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨ **ومَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعبد اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**

قوله: ودليل شهادة أن محمدا رسول الله...الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

هو الاعتراف باطنًا وظاهرًا أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع.

المسألة الثانية: أدلة شهادة أن محمداً رسول الله

١- قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١

٢- وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ الأحزاب: ٤٠

٣- وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩

المسألة الثالثة: شروط شهادة أن محمداً رسول الله

وشروطُ شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله هي:

١- الاعتراف برسالته، واعتقادها باطنًا في القلب.

٢- النطق بذلك، والاعتراف به ظاهرً باللسان.

٣- المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

٤- تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة.

٥- محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

٦- تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسنته.

المسألة الرابعة: نواقض الشهادتين سيأتي في كتاب نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

قال المؤلف رحمه الله

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ،

قوله: ودليل شهادة أن محمدا رسول الله....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الصلاة

الصلاة لغة هي الدعاء.

شرعا: هي أقوال وافعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم.

المسألة الثانية: أدلة الصلاة وأهميتها وحكمها

١- قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٤٣

٢- وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ التوبة: ١١

٣- وقال تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥

٤- **عن جابر** رضي الله عنه قال: سمعتُ النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكُفر ترك الصَّلاة». [مسلم «٨٢»]

٥- وعن عبد الله بن شقيق رحمه الله قال: كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يَرون شيئاً من الأعمال تركُه كفرٌ غير الصَّلاة. [خرجه الترمذي «٢١١٤»، وانظر "صحيح الترغيب والترهيب" «٥٦٢»]

المسألة الثالثة: شروط الصلاة

الإسلام، والعقل، والتمييز، والطهارة، وستر العورة، واجتناب النجاسة، والعلم بدخول الوقت، واستقبال القبلة، والنية والقصد.

المسألة الرابعة: أركان الصلاة

القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والرفع منه، والسجود، والرفع منه، والجلوس بين السجدتين، والطمأنينة في الجميع، والترتيب، والتشهد الأخير، والجلوس له، والتسليمة الأولى.

المسألة الخامسة: مبطلات الصلاة

الكلام العمد، والضحك، والأكل، والشرب، وكشف العورة، والانحراف عن جهة القبلة، والعبث الكثير، وحدوث النجاسة.

المسألة السادسة: واجبات الصلاة

التكبيرات غير تكبيرة الإحرام، قول سمع الله لمن حمده لإمام ومنفرد، قول ربنا ولك الحمد، تسبيح الركوع، تسبيح السجود، قول رب اغفر لي بين السجدتين والواجب مرة، التشهد الأول والجلوس له لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به وسجد للسهو حين نسيه.

قال المؤلف رحمه الله

وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥

قوله: وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الزكاة

الزكاة لغة هي النماء والزيادة.

وشرعاً: هي حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت خاص.

المسألة الثانية: أدلة الزكاة وأهميتها وحكمها

١- قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ البقرة: ١١٠

٢- وقال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

٣- وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة: ٣٤

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته؛ مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أَقْرع لهَ زِبيبتَان يُطوّقُه يوم القيامة ثم يأخذ بِلِهزِمتيه-يعني: شدقيه- ثم يقول: أنا مالُك أنا كنزُك، ثم تلا: ﴿ ولا يحسبَنّ الذين يبخلون... ﴾ الآية ». [البخاري «١٤٠٣»]

المسألة الثالثة: شروط الزكاة

١- بلوغ النصاب. ٢- حولان الحول على المال

المسألة الرابعة: مصارف الزكاة

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

قال السعدي رحمه الله يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ ﴾ أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد.

أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا لدخوله في قوله: ﴿ وفي الرقاب ﴾

السادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفِّي به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل الله، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

وقالوا أيضا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، [وفيه نظر].

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.. [تيسير الكريم الرحمن«٣٤١»]

قال المؤلف رحمه الله

ودليل الصيام: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣

قوله: ودليل الصيام....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الصوم

الصيام لغة: هو الإمساك.

وشرعاً: هو الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تقربا لله تعالى.

المسألة الثانية: أدلة الصوم

١- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣

٢- **عن سهل بن سعد** رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد».

[البخاري«١٨٩٦»، ومسلم «١١٥٢»].

٣- **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «قال الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والذي نفس مُحَمَّد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند

الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي الله تعالى فرح بصومه». [البخاري «١٩٠٤»، ومسلم «١١٥١»]

المسألة الثالثة: أركان الصوم

١ – النيّة. ٢ - الإمساك عن المفطّرات؛ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

قال المؤلف رحمه الله

ودليلُ الْحجّ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧

قوله: ودليل الحج....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الحج

الحج لغة هو القصد.

وشرعاً: هو القصد إلى أماكن مخصوصة للقيام بأعمال مخصوصة.

المسألة الثانية: أدلة الحج

١- قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

٢- قال الله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧

٣- **عن أبي هريرة** رضي الله عنه أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنة». [البخاري «١٧٧٣»، ومسلم «١٣٤٩»]

٤- **عن ابن عمر** رضي الله عنهما عن النّبيّ - ﷺ - قال: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفْد الله: دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم». [ابن ماجه «٢٣٣٩»، والنسائي «٢٤٦٢»، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب «١١٠٨»]

٥- **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «ما ترفع إبل الحاج رِجْلاً، ولا تضع يداً؛ إلاَّ كتبَ الله له بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة». [أخرجه البيهقي في "الشعب"، وابن حبان في "صحيحه"، وحسنه الألباني -رحمه الله- في "صحيح الترغيب والترهيب" «١١٠٦»]

المسألة الثالثة: شروط الحج

شروط الحج إلى ثلاثة أقسام:

الأول: شروط وجوب، وصحة، وإجزاء «الإسلام، العقل»

الثاني: شروط وجوب، وإجزاء فقط «البلوغ، الحرية»

الثالث: شرط وجوب فقط «الاستطاعة»

قال المؤلف رحمه الله

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ. وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ. وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما فى الحديث «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ البقرة: ١٧٧ **ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾** القمر: ٤٩

قوله: الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: معنى الإيمان

الإيمان لغة هو: الإقرار.

شرعا: هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

وأركانه ستة وهي: الإيمان بالله. وملائكته. وكتبه. ورسله. واليوم الأخر. والقدر خيره وشره.

المسألة الثانية: أدلة الإيمان

١- قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ البقرة: ٢٨٥

٢- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ النساء: ١٣٦

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». [مسلم«١٥٣»]

٤- وقال الألباني رحمه الله في الصَّحِيحَة «ح١٥٧»:

والحديث صريح في أن من سمع بالنبي ﷺ وما أرسل به، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به - ﷺ - أن مصيره إلى النار، لَا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لَا ديني ، واعتقادي أن كثيرا من الكفار لو أتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجا، كما وقع ذلك في أول الأمر، فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام، ممن هو على علم به على حقيقته ، وعلى معرفة بما أُلصِق به من الخرافات والبدع والافتراءات ليُحْسِنَ عرضه على المَدْعُوّين إليه، وذلك

يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقودا، فالقضية تتطلب استعدادات هامة، فلعلهم يفعلون. أهـ

قال المؤلف رحمه الله

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ.

أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ. كما فى الحديث: « أَنْ تَعبد الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ النحل: ١٢٨ **وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠ **وقَوْلُهُ تَعَالَى** ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ يونس: ٦١

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: « أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا ». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ،

وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: « أَنْ تَعبد الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: « يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟ ». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ ».

قوله: الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: معنى الإحسان

الإحسان لغة هو: إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه.

وشرعاً: هو إخلاص العمل لله مع مراقبته في السر والعلن.

وأركانه: واحدا وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهو على مرتبتين هما: المشاهدة ثم المراقبة.

المسألة الثانية: أدلة الإحسان

١- قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ النحل: ٩٠

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢

٣- وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ المائدة: ٩٣

٤- **وعن شداد بن أوس** رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته». [مسلم «١٩٥٥»]

٥- **قال العلامة الألباني** رحمه الله «إن الله كتب» أي أوجب أو طلب والأول هو موضوع كتب عند أكثر أهل العرف لكن الثاني أولى لشموله للمندوب ومكملاته «الإحسان» مصدر أحسن وهو هنا ما حسنه الشرع لا العقل خلافاً للمعتزلة والمراد طلب تحسين الأعمال المشروعة باتباعها بمكملاتها المعتبرة شرعاً «على» أي في، كما في ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ ﴾ البقرة: ١٠٢ أو إلى «كل شيء» غير الباري تقدس غني بذاته عن إحسان كل ما سواه فشمل الحيوان آدمياً أم غيره والنبات لاحتياجه للنمو والملائكة بأن تحسن عشرتهم فلا يفعل ما يكرهه الحفظة ولا يأكل ماله ريح كريه والجن بنحو نيتهم بسلام الصلاة وغير ذلك والإحسان لشياطينهم بالدعاء لهم ككفار الإنس وبالإسلام وفي إفهام كتب إشعار بأنه لا يتقاصر عنه من كتب عليه إلا انشرم دينه كما ينشرم خرز القربة المكتوب فيها، ذكره الحرالي «فإذا قتلتم» قوداً أو حداً غير قاطع طريق وزان محصن لإفادة نص آخر التشديد فيهما وغيره نحو حشرات وسباع فلا حظ لهما في الإحسان على ما قيل لكنه عليل إذ وجوب قتلها لا ينافي إحسان كيفيته، وفرع هذا وما بعده على ما قبله مع أن صور الإحسان لا

تحصر لكونها الغاية في إيذاء الحيوان فإذا طلب الإحسان إليها فغيرهما أولى «فأحسنوا القتلة» بكسر القاف هيئة القتل بأن يختاروا أسهل الطرق وأخفها إيلاماً وأسرعها زهوقاً لكن تراعى المثلية في القاتل في الهيئة والآلة إن أمكن وإلا كلواط وسحر فالسيف «وإذا ذبحتم» بهيمة تحل «فأحسنوا الذبحة» بالكسر بالرفق بها فلا يصرعها بعنف ولا يجرها لتذبح بعنف وبإحداد الآلة وتوجيهها للقبلة والتسمية والإجهاز ونية التقرب بذبحها وإراحتها وتركها إلى أن تبرد وشكر الله حيث سخرها لنا ولم يسلطها علينا ولا يذبحها بحضرة أخرى سيما بنتها أو أمها «وليحد أحدكم» أي كل ذابح «شفرته» بالفتح وجوباً في الكالة وندباً في غيرها وهي السكين وشفرتها حدها فسميت به تسمية للشيء باسم جزئه وينبغي مواراتها منها حال حدها للأمر به في خبر «وليرح» بضم أوله من أراح إذا حصلت له راحة «ذبيحته» بسقيها عند الذبح ومر السكين عليها بقوة ليسرع موتها فترتاح وبالإمهال بسلخها حتى تبرد، وعطف ذا على ما قبله لبيان فائدته إذ الذبح بآلة كالة يعذبها فراحتها ذبحها بآلة ماضية والذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة وتاؤها للنقل من الوصفية إلى الإسمية قالوا وهذا الحديث من قواعد الدين.[مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير «٢١٤/١»]

قال المؤلف رحمه الله

الأَصْلُ الثَّالِثُ: معرفة نبيه

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عبد اللهِ بْنِ عبد المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بِـ« اقْرَأْ »، وَأُرْسِلَ بِـ« الْمُدَّثِّرْ »، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

قوله: معرفة نبيكم محمد ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: اسم النبي ﷺ ونسبه

هو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهذا النسب باتفاق المؤرخون.

وأمه آمنة بنت وهب من بني زهرة ويلتقي نسب أمه بنسب أبيه في كلاب بن مرّة.

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». [البخاري«٣٦٠٦»]

المسألة الثانية: معرفة أزواجه.

١ - أولهن خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية رضي الله عنها تزوجها قبل النبوة ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من سريته مارية، وهي التي آزرته على النبوة وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

٢ - ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة بن قيس القرشية رضي الله عنها وكبرت عنده، وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة، فأمسكها.

٣ - ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر، الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها في شوال قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى وهي بنت تسع سنين، وقد عرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير، ففي الصحيحين عن عاشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ - ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها في السنة الثالثة من الهجرة، وكانت قبله عند خنيس ابن حذافة.

وكان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وممن شهد بدرا، وقد توفيت عام سبع أو ثمان وعشرين من الهجرة.

٥- ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر رضي الله عنها وتوفيت عنده -صلى الله عليه وسلم- بعد ضمه لها بشهرين، وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها للمساكين.

٦- ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية رضي الله عنها وقيل هي آخر نسائه موتا، وقد توفيت سنة اثنتين وستين للهجرة، ودفنت في البقيع، وقد تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- في السنة الرابعة من الهجرة.

٨- وتزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية رضي الله عنها وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فقضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتابها، وتزوجها سنة ست من الهجرة، وتوفيت سنة ست وخمسين.

٩ - ثم تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية رضي الله عنها وقيل: اسمها هند، تزوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وسيقت إليه من هناك، وماتت في أيام أخيها معاوية بن أبي سفيان.

١٠ - وتزوج في السنة السابعة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير رضي الله عنها من ولد هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام، فهي ابنة نبي وعمها نبي وزوجها نبي، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من الصفي أمة فأعتقها وجعل عتقها صداقها. وهذا من خصائصها.

١١ - ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها وهي آخر من تزوج بها، تزوجها بسرف، وبنى بها بسرف، تزوجها في السنة السابعة من الهجرة بعد عمرة القضاء، وماتت بسرف سنة ثلاث وستين من الهجرة في أيام معاوية.

المسألة الثالثة: من أفضل نساء النبي ﷺ ؟ .

أفضل نساء النبي ﷺ خديجة، و عائشة، وقد سئل النبي ﷺ: «من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: من الرجال؟ قال: أبوها » لكن أيضاً ورد في فضل خديجة فضائل، ولهذا قال العلماء: إن خديجة أيضاً متقدمة في الفضل، و عائشة رضي الله عنها ما كانت تغار على أحد من أزواج النبي ﷺ وهن موجودات ما كانت تغار على خديجة؛ لكثرة ذكر النبي ﷺ لها، حتى إنه عليه الصلاة والسلام كان يكرم صواحبها وقريباتها، فقد أتت امرأة عجوز فبش لها رسول الله ﷺ بشاشة لفتت انتباه عائشة رضي الله عنها فسألت الرسول ﷺ: من هذه العجوز؟ فقال ﷺ: «إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة» رضي الله عنهن جميعاً.

فخديجة لها فضل، و عائشة لها فضل، لكن عائشة تتميز بأنه يجب الترضي عنها، والإيمان بأنها زوجة النبي في الدنيا والآخرة، وتبرئتها مما برأها الله سبحانه وتعالى منه في كتابه العزيز، فمن طعن فيها بعد نزول الآيات البينات فهو مرتد بإجماع المسلمين، وأما الرافضة فإنهم إلى الآن يقذفون عائشة بما برأها الله منه في سورة النور.

المسألة الرابعة: ما الواجب نحو أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين ؟

مذهب أهل السنة والجماعة هو أنهم يتولون أزواجه ﷺ ويترضون عنهم ويؤمنون أنهن أزواجه في الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين في الاحترام والتعظيم وتحريم نكاحهن وأنهن مطهرات مبرآت من كل سوء ويتبرءون ممن آذاهن أو سبهن ويحرمون الطعن وقذفهن ويمكن إجمال بعض بهذه الواجبات على النحو الآتي:

١ - تولي أزواج رسول الله -ﷺ- وحبهن، ومعرفة فضلهن وقدرهن ومنزلتهن العظيمة التي شرفهن الله بها.

٢ - احترامهن وتوقيرهن واعتقاد أنهن أمهات للمؤمنين، وأنهن أزواج للرسول -ﷺ- في الآخرة. قال أبو عثمان الصابوني [في رسالته اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمةص «١٠٧»]: وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه -رضي الله عنهن- والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين.

٣ - سلامة الصدر تجاههن من الغل أو الغش، وملؤه بالحب والنصح.

٤ - إحسان القول فيهن، وسلامة اللسان تجاههن. يقول الطحاوي: ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله -ﷺ- وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذريته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق. قال الشارح: وإنما قال: بريء من النفاق لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول -ﷺ-، كما ذكر ذلك العلماء. [شرح العقيدة الطحاوية «ص ٧٣٧، ٧٣٨»]

٥ - البراءة من طريقة الروافض ومن نحا نحوهم تجاه أزواج النبي عليه الصلاة والسلام من تكفير أو سب أو وقيعة أو سخرية أو تنقص أو نحو ذلك.

٦ - الذب عنهن، والرد على من يريد التنقص من قدرهن أو يحط من شأنهن أو يقلل من مكانتهن

٧ - دراسة سيرتهن، ومعرفة أخبارهن وآدابهن وعبادتهن، فإنهن أعظم النساء تعلما في مدرسة النبوة، بل إن هناك أمورا عديدة من هديه -ﷺ- لا يمكن العلم بها إلا من طريقهن -رضي الله عنهن- أجمعين.

المسألة الخامسة: ما حكم من سب أزواج النبي - ﷺ - أو رماهن بالفاحشة ؟

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾ الأحزاب: ٦

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦ ﴾ النور: ٢٦

قال أبو يعلى رحمه الله من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد كفر بلا خلاف.

وكما قال شيخ الإسلام رحمه الله وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم.

والصحيح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها لأن فيه عار وغضاضة على رسول الله - ﷺ - وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده.

وأما من سب واحدة منهن فهو كسب الصحابة، واختلف فيه بين مكفر ومفسق والصواب كفره لرده للقرآن في بيان شرفهمن وعلو مكانتهن.

المسألة السادسة: هل يقال لسراري النبي ﷺ أمهات المؤمنين أو لا يقال ؟

وقد نقل ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد عن أبي عبيدة أنه قال: كان له أربع: مارية وهي أم ولده إبراهيم، وريحانة، وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش. [زاد المعاد «١/١١٤»]

فهل هؤلاء يطلق عليهن أمهات المؤمنين أم أن الإطلاق خاص بأزواجه ﷺ ؟

والجواب: أن هذا خاص بأزواج النبي ﷺ كما هو ظاهر القرآن، ولم يرد ما يدل على مشروعية إطلاقه على سراري النبي ﷺ، بل ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما اصطفى صفية بنت حيي قال الصحابة: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين وإلا فهي مما ملكت يمينه.

[البخاري «١٢٦» ومسلم «١٠٤٥»]

قال شيخ الإسلام رحمه الله وقد ذكر هذا الحديث: وفي الحديث دليل على أن أمومة المؤمنين لأزواجه دون سراريه، والقرآن ما يدل إلا على ذلك؛ لأنه قال: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾. [مجموع الفتاوى «١٥ \ ٤٤٨، ٤٤٩»]

المسألة السابعة: أولاد النبي ﷺ.

عدد أولاد النبي ﷺ سبعة، ثلاثة ذكور وأربع إناث.

كلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن سريته مارية القبطية.

أولهم القاسم ولد ومات قبل البعثة وأخرهم إبراهيم ولد ومات بعد الهجرة في المدينة وعبد الله ولد ومات بعد البعثة قبل الهجرة رضي الله عنهم.

وكل أولاده وبناته ماتوا قبله إلا فاطمة رضي الله عنها فعاشت بعده ستة أشهر والله أعلم

تزوج عثمان رقية وأم كلثوم ولذلك سمي بذي النورين ولم يتزوج ابنتي نبي قط غير عثمان رضي الله عنه. وتزوج فاطمة علي بن أبي طالب وتزوج زينب العاص بن وائل فرضي الله عن أولاده جميعا وأصحابه وأصهاره.

المسألة الثامنة: مختصر حياته ﷺ قبل البعثة وبعدها

ولد النبي ﷺ في عام الفيل في مكة يوم الأثنين بالاتفاق ولم يثبت دليل صحيح متى ولد في أي شهر وقد اختلف المؤرخون في ذلك على أقوال.

ومات أبوه وهو حمل في بطن أمه، وتوفيت أمه وعمره ست سنوات ثم كله جده وما وعمره ثمان سنوات ثم مات وكفله عمه أبو طالب.

ورعى الغنم في البادية لقرايط احتاجها عمه للنفقة وحصلت له حادثة شق الصدر وهو صغير

وتزوج بخديجة رضي الله عنها بعد أن عمل معها وأعجبت بأمانته وصدقه وبركته وخيريته.

ثم بعث وعمره أربعين سنة واستمر يدعو إلى التوحيد ثلاث عشر سنة ثم هاجر واستقر بالمدينة عشر سنين يدعو ويعلم الناس أحكام الشريعة وغزى وجاع وأوذي وابتلي في الله من الكفار واليهود والمنافقين حتى توفاه الله تعالى في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية

عشرة فصلوات ربي وسلامة عليه ما تعاقب الليل والنهار وثبتنا على طريقته ودسنه حتى نلقاه.

قال المؤلف رحمه الله

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ المدثر: ١ - ٧ **وَمَعْنَى: « قُمْ فَأَنذِرْ »: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. « وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » : أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ »: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. « وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ »: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.**

قوله: بعثه الله بالنذارة....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: كيفية بعثته

بدأ نزول الوحي على مُحَمَّد ﷺ وعمره أربعون سنة. فعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنّها قالت: أوّل ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرّؤيا الصّالحة في النّوم. فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصّبح. ثمّ حبّب إليه الخلاء. فكان يخلو بغار حراء يتحنّث فيه- وهو التّعبّد- اللّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله. ويتزوّد لذلك. ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها. حتّى جاءه الحقّ وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال «ما أنا بقاريء»

قال: فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد. ثمّ أرسلني فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقاريء». فأخذني فغطّني الثّانية حتّى بلغ منّي الجهد. ثمّ أرسلني فقال اقرأ فقلت: «ما أنا بقاريء» فأخذني فغطّني الثّالثة. ثمّ أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ العلق: ١ - ٣ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده. فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمّلوني زمّلوني. فزمّلوه حتّى ذهب عنه الرّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلّا والله ما يخزيك الله أبدا، إنّك لتصل الرّحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضّيف، وتعين على نوائب الحقّ. فانطلقت به خديجة رضي الله عنها حتّى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ابن عمّ خديجة، وكان امرءا تنصّر في الجاهليّة، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانيّة ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا النّاموس الّذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجيّ هم؟» قال نعم. لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلّا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا. ثمّ لم ينشب ورقة أن توفّي، وفتر الوحي».

[البخاري «٣» واللفظ له. ومسلم «١٦٠»]

المسألة الثانية: بعض خصائصه ﷺ

١- **أخذ الله- عزّ وجلّ- العهد والميثاق** على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى عليهما السّلام لما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أيّ مبلغ ثمّ بعث محمّد بن عبد الله ﷺ ليؤمنّ به ولينصرنّه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنّبوّة من اتّباعه ونصرته، كما

أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أممهم لئن بعث محمّد ﷺ وهم أحياء ليؤمننّ به ولينصرنّه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١

٢- **أن رسالته عامة بخلاف غيره من الأنبياء** قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨ وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ وعن أبي هريرة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «والّذي نفس محمّد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة يهوديّ ولا نصرانيّ ثمّ يموت ولم يؤمن بالّذي أرسلت به إلّا كان من أصحاب النّار». [مسلم «١٥٣»]

٣- **أنه خاتم النبيين** قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرّسالة والنّبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ. قال فشقّ ذلك على النّاس، قال: ولكن المبشّرات. قالوا: يا رسول الله وما المبشّرات؟ قال: «رؤيا الرّجل المسلم وهي جزء من أجزاء النّبوّة». [الترمذي برقم «٢٢٧٢» أحمد «٣/ ٢٦٧»، والحاكم في المستدرك «٤/ ٣٩١» - انظر صحيح الجامع «١٦٢٧»]

٤- **المقام المحمود والشفاعة.** قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٩

٥- **أعطاه الله خمسا لم يعط أحد غيره.** عن جابر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهنّ أحد قبلي: نصرت بالرّعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

فأيّما رجل من أمّتي أدركته الصّلاة فليصلّ، وأحلّت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشّفاعة، وكان النّبيّ يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى النّاس عامّة». [البخاري «٣٣٥» واللفظ له، ومسلم «٥٢١»]

قال المؤلف رحمه الله

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ. وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ النساء: ٩٧ - ٩٩ **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٦.

قَالَ الْبُغَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهِ».

قوله: وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الهجرة و أنواعها

الْهِجْرَةُ لُغَةً : مُفَارَقَةُ بَلَدٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ هَاجَرَ مُهَاجَرَةً.

وَفِي الِاصْطِلَاحِ : الِانْتِقَال مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ. فَإِنْ كَانَتْ قُرْبَةً لِلَّهِ فَهِيَ الْهِجْرَةُ الشَّرْعِيَّةُ. [فتح الْمُعِين لابْنِ حَجَر الهيتمي «٥٢»]

والهجرة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هجرة حسية وهي على ثلاثة أنواع:

أولها: هجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام. قال الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء: ٩٧وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ النساء: ١٠٠وقال تعالى ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٦

ثانيها: هجرة من بلد البدعة إلى بلد السنة. قَال ابْنُ الْقَاسِمِ : سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُول : لاَ يَحِل لأَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ بِبَلَدٍ يُسَبُّ فِيهِ السَّلَفُ. [أَحْكَام الْقُرْآنِ لابْنِ الْعَرَبِيِّ «١/ ٤٨٤»]

ثالثها: هجرة من بلد الظلم والمعاصي والفجور إلى بلد السنة والخير والعدل. ودليله حديث الذي قتل مائة نفس.[البخاري«٣٤٧٠» مسلم«٢٧٦٦»].

القسم الثاني: هجرة معنوية. وهي هجرة ما نهى الله عنه. عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ قَالَ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » [البخاري«١٠»]

[راجع: الرسالة التبوذكية «١٦» إحْكَام الأحكام«١/ ١١» وراجع كلام ابن القيم في طريق الهجرتين«٧» فقد ذكر كلام جميل في الهجرة المعنوية]

المسألة الثانية: حكم الهجرة

قَسَّمَ الْفُقَهَاءُ النَّاسَ فِي شَأْنِ الْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى ثَلاَثَةِ أَضْرُبٍ :

أ - مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ، وَهُوَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَلاَ يُمْكِنُهُ إِظْهَارُ دِينِهِ مَعَ الْمُقَامِ فِي دَارِ الْحَرْبِ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى لاَ تَجِدُ مَحْرَمًا، إِنْ كَانَتْ تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهَا فِي الطَّرِيقِ، أَوْ كَانَ خَوْفُ الطَّرِيقِ أَقَل مِنْ خَوْفِ الْمُقَامِ فِي دَارِ الْحَرْبِ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾.

وَفِي الآْيَةِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ، وَالْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ فِي ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمِ وَتَرْكِ الْوَاجِبِ.

ب - مَنْ لاَ هِجْرَةَ عَلَيْهِ: وَهُوَ مَنْ يَعْجِزُ عَنْهَا، إِمَّا لِمَرَضٍ، أَوْ إِكْرَاهٍ عَلَى الإِقَامَةِ فِي دَارِ الْكُفْرِ، أَوْ ضَعْفٍ كَالنِّسَاءِ، وَالْوِلْدَانِ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾.

ج - مَنْ تُسْتَحَبُّ لَهُ الْهِجْرَةُ، وَلاَ تَجِبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ : مَنْ يَقْدِرُ عَلَى الْهِجْرَةِ وَيَتَمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ فِي دَارِ الْحَرْبِ، فَهَذَا يُسْتَحَبُّ لَهُ الْهِجْرَةُ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْجِهَادِ، وَتَكْثِيرِ الْمُسْلِمِينَ.

د - وَزَادَ الشَّافِعِيَّةُ قِسْمًا رَابِعًا : وَهُوَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِ فِي دَارِ الْحَرْبِ، وَيَقْدِرُ عَلَى الاِعْتِزَالِ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ، وَالاِمْتِنَاعِ مِنَ الْكُفَّارِ، فَهَذَا تَحْرُمُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ، لأَنَّ مَكَانَ اعْتِزَالِهِ صَارَ دَارَ إِسْلاَمٍ بِامْتِنَاعِهِ، فَيَعُودُ بِهِجْرَتِهِ إِلَى حَوْزَةِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ أَمْرٌ لاَ يَجُوزُ، لأَنَّ كُلَّ مَحَلٍّ قَدَرَ أَهْلُهُ عَلَى الاِمْتِنَاعِ مِنَ الْكُفَّارِ صَارَ دَارَ إِسْلاَمٍ.[الموسوعة الكويتية«٢٠/ ٢٠٦- ٢٠٧»]

المسألة الثالثة : هل الهجرة انقطعت أم باقية ؟

الهجرة قائمة ما قام الكفر والشرك والمعاصي والبدع فإذا انتهت فلا هجرة سواء من جميع الأرض أو من مكان المهاجر ودليله حديث: معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التَوبةُ، ولا تنقطع التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها ".[أبو داود«٢٢٤١» وهو صحيح]

وعن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: "لا تَنْقَطِعُ الهجرةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ.

[ابن حبان«١٥٧٩» وحسنه الألباني في الإرواء تحت حديث : «١٢٠٨»، وصَحِيح الْجَامِع : «٧٤٦٩»]

المسألة الرابعة: حكم السفر إلى بلاد الكفار و التجنس بجنسية الكفار

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ النساء: ٩٧ – ٩٨.

وتبرأ النبي - ﷺ - ممن يقيم بين الكفار كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود «٢٦٤٥»، والترمذي «١٦٠٤» وغيرهما بإسناد حسن، قال عليه الصلاة والسلام: " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ".وقال عليه الصلاة والسلام: " من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله ". أخرجه أبو داود«٢٧٨٧» من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه وقال عليه الصلاة والسلام: " لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا ". أخرجه الحاكم في المستدرك «٢٦٢٧» من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال الذهبي: صحيح على شرط البخاري.

والإقامة في بلاد الكفار لا تجوز إلا بالشروط الآتية:

١- وجود الحاجة الشرعية المقتضية للإقامة في بلادهم ولا يمكن سدّها في بلاد المسلمين، مثل التجارة، والدعوة، أو التمثيل الرسمي لبلد مسلم، أو طلب علم غير متوفر مثله في بلد مسلم من حيث الوجود، أو الجودة والإتقان، أو الخوف على النفس من القتل أو السجن أو

التعذيب، وليس مجرد الإيذاء والمضايقة، أو الخوف على الأهل والولد من ذلك، أو الخوف على المال.

٢- أن تكون الإقامة مؤقتة، لا مؤبّدة، بل ولا يجوز له أن يعقد النية على التأبيد، وإنما يعقدها على التوقيت؛ لأن التأبيد يعني كونها هجرة من دار الإسلام إلى دار الكفر، وهذا مناقضة صريحة لحكم الشرع في إيجاب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

ويحصل التوقيت بأن ينوي أنه متى زالت الحاجة إلى الإقامة في بلد الكفار قطع الإقامة وانتقل.

٣- أن يكون بلد الكفار الذي يريد الإقامة فيه دار عهد، لا دار حرب، وإلا لم يجز الإقامة فيه. ويكون دار حرب إذا كان أهله يحاربون المسلمين.

٤- توفر الحرية الدينية في بلد الكفار، والتي يستطيع المسلم بسببها إقامة شعائر دينه الظاهرة والدعوة إليه.

٥- تمكنه من تعلم شرائع الإسلام في ذلك البلد. فإن عسر عليه لم تجز له الإقامة فيه لاقتضائها الإعراض عن تعلم دين الله.

٦- أن يغلب ظنه بقدرته على المحافظة على دينه، ودين أهله وولده. وإلا لم يجز له؛ لأن حفظ الدين أولى من حفظ النفس والمال والأهل.

فمن توفرت فيه هذه الشروط -وما أعسر توفرها- جاز له أن يقيم في بلاد الكفار، وإلا حرم عليه؛ للنصوص الصريحة الواضحة التي تحرم الإقامة فيها، وتوجب الهجرة منها، وهي معلومة، وللخطورة العظيمة الغالبة على الدين والخلق، والتي لا ينكرها إلا مكابر.

قال المؤلف رحمه الله

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ.

قوله: فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: أحوال التشريع ومراحله

كانت المرحلة الدعوية للنبي ﷺ على حالين قبل الهجرة وبعد الهجرة:

١- فأما قبل الهجرة فقد كانت دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد وذلك لتجهيز الجماعة المسلمة التي ستطبق الأحكام الشرعية عقديا وعلميا وتربية وغير ذلك وقد مكث في مكة ثلاثة عشر سنة.

٢- وأما بعد الهجرة فقد تتابعت الأحكام وبيانها ابتداء من الصلاة والزكاة ثم الصوم ثم الحج وسائر الأوامر والنواهي كلها لم يأتي أكثرها إلا بعد الهجرة وقد مكث في المدينة عشر سنوات.

المسألة الثانية: الضروريات التي جاءت الشريعة لحفظها

أما الضروريات وهى أصول المصالح العالمية في الدنيا فهي درأ المفسدة عن ستة أشياء عليها مدار المصالح الكبرى في الدين والدنيا وهى:

١- الدين ٢- النفس ٣- العقل ٤- النسب ٥- العرض ٦- المال.

سلطان

المسألة الثالثة: أنواع التشريع الإسلامي

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : الأحكام نوعان :

١- نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة و لا الأمكنة، و لا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، و تحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، و نحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير، و لا اجتهاد يخالف ما وُضع عليه.

٢- والنوع الثاني : ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً و مكاناً و حالاً، كمقادير التعزيرات.

[إغاثة اللهفان«١/ ٣٤٦، ٣٤٩»]

المسألة الرابعة: مصادر التشريع

مصادر التشريع وأخذ الأحكام الشرعية هما الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ ﴾ الأنفال: ٢٠ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ النساء: ٨٣

قال المؤلف رحمه الله

ـ وَدِينُهُ بَاقٍ.

قوله: وَدِينُهُ بَاقٍ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: ديمومة هذا الدين واستمراريته

المستقبل لهذا الدين بإذن الله تعالى قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ التوبة: ٣٢ – ٣٣

وقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ الفتح: ١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا عليّ وأهمّاني، فأوحي إليّ أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فأوّلتهما الكذّابين اللّذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» [البخاري «٧٠٣٧»، ومسلم «٢٢/ ٢٢٧٤»].

وعن عقبة رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ خرج يوما فصلّى على أهل أحد صلاته على الميّت، ثمّ انصرف على المنبر فقال «إنّي فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإنّي والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإنّي أعطيت مفاتيح خزائن الأرض- أو مفاتيح الأرض- وإنّي والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها». [البخاري «٦٥٩٠»، ومسلم «٢٢٩٦»].

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله زوى لي الأرض» أو قال: «إنّ ربّي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ ملك أمّتي سيبلغ ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض». [مسلم «٢٨٨٩»]

قال المؤلف رحمه الله

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

قوله: وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: ما جاء به النبي ﷺ وبينه

أن الشارع ما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه، وما ترك شراً إلا حذر الأمة عنه. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ٥٦

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله ﷺ -: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها سيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها». [مسلم«١٨٤٤»]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ. [ابن حبان«٦٥» قال الشيخ الألباني: صحيح]

قال أبو حاتم رحمه الله معنى: عندنا منه؛ يعني بأوامره ونواهيه وأخباره وأفعاله وإباحاته- ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله والبيان من النبي ﷺ على أقسام:

أحدها: بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفيا.

الثاني: بيان معناه وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك كما بين أن الظلم المذكور في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢ هو الشرك وأن الحساب اليسير هو العرض وأن الخيط الأبيض والأسود هما بياض الليل وسواد النهار.

الثالث: بيانه بالفعل كما بين أوقات الصلاة للسائل بفعله.

الرابع: بيان ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن فنزل القرآن ببيانها، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره.

الخامس: بيان ما سئل عنه بالوحي وإن لم يكن قرآنا، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بالخلوق فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويغسل أثر الخلوق.

السادس: بيانه للأحكام بالسنة ابتداءً من غير سؤال، كما حرم عليهم لحوم الحمر، والمتعة، وصيد المدينة، ونكاح المرأة على عمتها وخالتها وأمثال ذلك.

السابع: بيانه للأمة جواز الشيء بفعله هو له، وعدم نهيهم عن التأسي به.

الثامن: بيان جواز الشيء بإقراره لهم على فعله وهو يشاهده، أو يعلمهم يفعلونه.

التاسع: بيانه إباحة الشيء عفوا بالسكوت عن تحريمه وإن لم يأذن فيه نطقا.

العاشر: أن يحكم القرآن بإيجاب شيء أو تحريمه أو إباحته ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وقيود وأوقات مخصوصة وأحوال وأوصاف، فيحيل الرب سبحانه وتعالى على رسوله في بيانها كقوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ النساء: ٢٤ فالحل موقوف على شروط النكاح وانتفاء موانعه وحضور وقته وأهلية المحل. [أعلام الموقعين «٢/ ٣١٤، ٣١٥»]

قال المؤلف رحمه الله

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً.

قوله: بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: بعثة النبي ﷺ

١- قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨

٢- وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

٣- وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان: ١

٤- عن جابر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهنّ أحد قبلي: نصرت بالرّعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا. فأيّما رجل من أمّتي أدركته الصّلاة فليصلّ، وأحلّت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشّفاعة، وكان النّبيّ يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى النّاس عامّة» [البخاري «٣٣٥» واللفظ له، ومسلم «٥٢١»].

٥- قال العلامة البسام رحمه الله وقد جعل اللهُ تعالى في هذا النبي العظيم، وفي رسالته السامية الصلاحية والشمول، لأن تكون الدستور الخالد، والقانون الباقي لجميع البشر، على اختلاف أجناسهم، وتبايُن أصنافهم، وتباعد أقطارهم، فهي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان، ولما كانت بهذه الصلاحية والسمُوَ، كانت هي الأخيرة،لأنها لا تحتاج إلى زيادة ولا فيها نقص. وجعلت شاملة، لما فيها من عناصر البقاء والخلود. [تيسير العلام«١/٥٥»]

قال المؤلف رحمه الله

اَفْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨

قوله: وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ...الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: حكم طاعته ﷺ وأدلتها

١- قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ النساء: ٨٠

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٩

٣- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء: ٦٩

٤- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

[البخاري «٧٢٨٥»]

٥- وقد تقدم الإشارة إلى هذا فراجعه.

قال المؤلف رحمه الله

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣

قوله: وكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: كمال دين النبي ﷺ

بين الله تعالى أن الدين عنده الإسلام وهذا دليل كماله فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩

وبين الله أنه لا يقبل دينا غير الإسلام وهذا لشموليته للحياة فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥

وأمر الله تعالى بالدخول فيه من الناس كافة وذلك لإصلاح حياتهم بجميع أحوالهم فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨

وقال الله مبينا تمام الإسلام وكماله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣

قال العلامة السعدي رحمه الله ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله.

﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ الظاهرة والباطنة ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ أي: اخترته واصطفيته لكم دينا، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكرا لربكم، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها.[تيسير الكريم الرحمن«٢١٩»]

المسألة الثانية: بعض علامات كمال دين النبي ﷺ

١- أنه شامل للثقلين جميعا. كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨

٢- كمال أحكامه الشرعية فلا تجد فعل من أفعال المكلفين إلا ولهو حكم في الشريعة الإسلامية سواء العبادات أو المعاملات.

٣- وسطيته واتزانه في الحكام الشرعية كما قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣

٤- مراعاة أحوال الناس ونفي الآصار والأغلال عليهم كما قال الله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ المائدة: ٦ وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦

٥- موافقته للعقل الصحيح كما قال الله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣

قال المؤلف رحمه الله

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الزمر: ٣٠ - ٣١

قوله: والدليل على موته....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: قصة موت النبي ﷺ مختصرة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَقُلْتُ فِى نَفْسِى مَا يُبْكِى هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. قَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِى صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِى لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِى الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِى بَكْرٍ ». [البخارى«٤٦٦»]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وكأن أبا بكر فهم الرمز الذي أشار به النبي - ﷺ - من قرينة ذكره ذلك في مرض موته، فاستشعر منه أنه أراد نفسه؛ فلذلك بكى. [فتح الباري «١٦/٧»]

وعن عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِى أَنْ يُمَرَّضَ فِى بَيْتِى، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِى الأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُ عبد اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ أَتَدْرِى مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ قُلْتُ لاَ. قَالَ

هُوَ عَلِيٌّ. وَكَانَتْ عَائِشَة تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ « هَرِيقُوا عَلَىَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّى أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ ». وَأُجْلِسَ فِى مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ -، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ. [البخارى«١٩٨»]

وعَنْ عبد اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهْوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا. قَالَ « أَجَلْ إِنِّى أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ ». قُلْتُ ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ « أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا ». [البخارى«٥٦٤٨»]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها دَخَلَ عبد الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عبد الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ " فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى ". ثَلاَثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ : مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي. [البخارى«٤٤٣٨»]

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِى الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، إِنَّ

لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ « فِى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ». حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. [البخارى «٦٥١٠»]

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها وَاكَرْبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا « لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ». فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ يَا أَبَتَاهْ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - التُّرَابَ. [البخارى«٤٤٦٢»]

قال ابن رجب رحمه الله ولما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية.

قال القرطبي رحمه الله مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور: من أعظم المصائب المصيبة في الدين.. فعَنْ عبد الرَّحْمَنِ بن سَابِطٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - :"إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ".

وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه. [تفسير القرطبي «١٧٦/٢»]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَتْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ بِأَبِى أَنْتَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ، لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِى كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ

مُتَّبَا، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه خَرَجَ وَعُمَرُ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ. فَقَالَ اجْلِسْ. فَأَبَى. فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ - رضى الله عنه - فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَإِنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعبد اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ - رضى الله عنه - فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلاَّ يَتْلُوهَا. [البخارى«١٢٤١»]

قال القرطبي رحمه الله هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجراءة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي - ﷺ - ، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله - ﷺ - ومنهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح.[تفسير القرطبي «٢٢٢/٤»]

وعَنْ عَبَّادِ بْنِ عبد اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رحمه الله قَالَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَقُولُ لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالُوا وَاللَّهِ مَا نَدْرِى أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقْنُهُ فِى صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لاَ يَدْرُونَ مَنْ هُوَ أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ - ﷺ - وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيُدَلِّكُونَهُ

بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَهُ إِلاَّ نِسَاؤُهُ. [أبى داود «٣١٤٣» حسن]

قال المؤلف رحمه الله

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ طه: ٥٥ **وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ نوح: ١٧ - ١٨ **وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ ﴾ النجم: ٣١ **وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن: ٧ **وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥

قوله: وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف البعث

البعث في اللغة يختلف باختلاف ما علق به، فقد يطلق ويراد به:

١ - **الإرسال**: يقال بعثت فلاناً أو ابتعثته أي أرسلته.

٢ - **البعث** من النوم: يقال: بعثه من منامه إذا أيقظه.

٣ - **الإثارة**: وهو أصل البعث، ومنه قيل للناقة: بعثتها إذا أثرتها وكانت قبل باركة.
شرعاً: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم أحياءاً للحساب والجزاء.

المسألة الثانية: أدلة البعث

١- قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٦

٢- وقال تعالى: ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٠ – ١٠١

٣- وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ النحل: ٨٤

٤- **عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمَّا تكذيبه إيَّاي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أوَّل الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إيَّاي فقوله: اتَّخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحدا». [البخاري «٤٤٨٢»]

المسألة الثالثة: المنكرون للبعث

زعموا أنَّ الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدَّهرية والطبائعية. [معارج القبول للحكمي «٢/ ٩٣٩»]

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤ وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٤ – ٣٨ وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٢ - ٨٩

المسألة الرابعة: أنواع البعث

فالبعث ضربان: لغوي كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة. وشرعي وذلك ضربان:

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن العدم، وذلك يختص به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحداً.

والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى ﷺ.

قال المؤلف رحمه الله

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ النساء: ١٦٣

قوله: وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:

المسألة الأولى: وجوب الإيمان بالرسل

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨ ﴾ البقرة: ٩٨ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ ﴾ النساء: ١٥٠ وقال: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ الحديد: ٢١

المسألة الثانية: أول الأنبياء وأول الرسل وأخرهم

أول الأنبياء هو آدم وأول الرسل هو نوح وأخرهم جميعا هو مُحَمَّد صل الله عليهم أجمعين.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أن رجلا قال : يا رسول الله! أنبيا كان آدم؟ قال : نعم مكلم، قال : كم كان بينه و بين نوح؟ قال : عشرة قرون. قال : يا رسول الله! كم كانت الرسل؟ قال : ثلاثمائة وخمسة عشر. [أخرجه أبو جعفر الرزاز في " مجلس من الأمالي " «١٧٨ / ١ » وصححه العلامة الألباني في الصحيحة«٢٦٦٨»]

وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠

المسألة الثالثة: عدد الأنبياء والرسل

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٣ – ١٦٤

و عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: « ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً وقال مرة: خمسة عشر». وفي رواية أبي أمامة: «قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً». [أحمد «٢١٥٨٦»، والحاكم «٢/ ٦٥٢»، والبيهقي «١٨١٦٦». والألباني في تخريج مشكاة المصابيح «٥٦٦٩»]

المسألة الرابعة: أفضل الأنبياء والرسل

قال الله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ البقرة: ٢٥٣

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٣٥

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ ﴾ النحل: ١٢٠

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا خير البريّة، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم». [أخرجه مسلم «٢٣٦٩»]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصّة العرض على الله تبارك وتعالى يوم القيامة، وفزع النّاس إلى الأنبياء عليهم السّلام- قال ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم... فيقول عيسى... اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمّد ﷺ، فيأتون محمّدا ﷺ فيقولون: يا محمّد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء... ». [البخاري «٤٧١٢»، ومسلم برقم «١٩٤»]

وقال ابن القيّم رحمه الله فأكمل النّاس توحيدا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك. وأولو العزم من الرّسل أكمل توحيدا... وأكمل أولي العزم الخليلان: محمّد وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما. [مدارج السالكين «٣/ ٥٠١، ٥٠٢»]

قلت: فأفضل البشر هو محمّد ﷺ ثم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم بقية أولوا العزم ثم الرسل ثم الأنبياء ثم أصحاب رسول الله ﷺ ثم سائر أصحاب الأنبياء ثم التابعون ثم سائر المؤمنين.

المسألة الخامسة: حكم المفاضلة بين الأنبياء والرسل

قال الله تعالى: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم

مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة: ٢٥٣

وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ الإسراء: ٥٥

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تفضّلوا بين أنبياء الله، فإنّه ينفخ في الصّور فيصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله، ثمّ ينفخ فيه أخرى. فأكون أوّل من بعث: أو في أوّل من بعث. فإذا موسى- عليه السّلام- آخذ بالعرش. فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطّور. أو بعث قبلي. ولا أقول: إنّ أحدا أفضل من يونس بن متّى عليه السّلام-». [البخاري «٣٤١٤»، ومسلم «٢٣٧٣» واللفظ له].

فهاهنا جاءت الآيات تبين جواز المفاضلة بين الأنبياء وفي الحديث جاء النهي فما هو وجه الجمع؟

الجواب: قال السبكي رحمه الله [السيف المسلول على من سب الرسول«٥٠٠- ٥٠٢»]:

أجاب بأن للعلماء فيها تأويلات:

أحدها: أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

قلت: وهذا ضعيف، لأن النهي من رواية أبي هريرة، وهو متأخر، والنبي ﷺ علم فضله على غيره قبل ذلك، ألا ترى إلى حديث الإسراء، فإن فيه جملة تدل على ذلك.

الثاني: أنه على طريق التواضع، قال: وهذا لا يسلم عن الاعتراض.

الثالث: لا يفضل بينهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص بعضهم.

الرابع: منع التفضيل في حق النبوة والرسالة، فإن الأنبياء فيها على حد واحد، إذ هي شيء واحد لا يتفاضل، وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف،

أما النبوة نفسها فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بأمور أخرى، ولذلك منهم أولو العزم، ومنهم من رفع مكانًا عليًا، ومن أوتي الحكم صبيا، ومنهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات.

الخامس: أن يكون «أنا» راجعًا إلى القائل نفسه، أي: لا يظن أحد وإن بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس بن متى لأجل ما حكى الله عنه، فإن درجته أفضل وأعلى، وتلك الأشياء لم تحطه عنها حبة خردلة ولا أدنى.

وأقول: في قوله: « لا تفضلوا بين الأنبياء » جواب سادس، وهو في ضمن كلام عياض، ولكني أبسطه وأقول: المعنى: لا تفضلوا أنتم وإن كان الله ورسله ـ العالمون بحقائق الأحوال ـ يفضلون، لا التفضيل يحتاج إلى توقيف، ومن فضل بلا علم فقد كذب أو زل، فالنهي للمخاطبين على سبيل التأديب، لما هو الغالب على حالهم من الجهل بمقدار الأنبياء، ولا يدخل في ذلك من فضل بعلم أو أخذ التفضيل من الكتاب والسنة.

قال المؤلف رحمه الله

الخاتمة: ذكر الطواغيت والبراءة منها ومن أهلها

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إلا الله، وَفِي الْحَدِيثِ: « رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ».

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى اله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قوله: وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي

المسألة الأولى: تعريف الطاغوت

الطاغوت: مأخوذ من الطغيان وهو التجاوز. وهو مجاوزة الحد، يقول العرب: «طغى السيل» إذا جاوز ماؤه حافتي الوادي وفاض من بين جوانبه، «وطغى الماء» إذا ارتفع مده وفيضانه عن قامة الإنسان بحيث يغرقه.

شرعاً: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

فليس علماً على شخص معين، بل هو أسم جنس يتناول كل من اتصف بصفة الطاغوت.

المسألة الثانية: أدلة ذم الطواغيت

١- قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٧

٢- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ النساء: ٧٦

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ : «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها...الحديث ».

[البخاري «٦٥٧٣» مسلم «١٨٢»]

المسألة الثالثة: رؤوس الطواغيت

رؤوس الطواغيت كما ذكر ابن القيم كثيرة ولكن يجمعها:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) ﴾ يس: ٦٠ فالشيطان داعية الكفر وقد سماه الله طاغوت فقال: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ النساء: ٧٦

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) ﴾ النساء: ٦٠

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ المائدة: ٤٤

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله.

الخامس: الذي يدعو الناس إلى عبادته والذي يُعبَد من دون الله، وهو راض بالعبادة. قال الله: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) ﴾ البقرة: ٢٥٧ كحال فرعون والنمرود وغيرهم

المسألة الرابعة: طاعة الأمراء والعلماء والفقهاء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤

قال القرطبيّ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي لا نتّبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلّا فيما حلّله الله تعالى، وهو نظير قوله عزّ وجلّ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ معناه أنّهم أنزلوهم منزلة ربّهم في قبول تحليلهم وتحريمهم لما لم يحلّله الله تعالى ولم يحرّمه. [تفسير القرطبي «٤/ ١٠٦»]

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ التوبة: ٣١

وسئل العلامة العثيمين رحمه الله عن اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم مقدماً له ساخطاً لحكم الله، فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله، وكراهة ما أنزل الله كفر لقوله - تعالى - : ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر.

القسم الثاني : أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله، وعالماً بأنه أمثل واصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه تابعهم في ذلك فهذا لا يكفر ولكنه فاسق.

فإن قيل : لماذا لا يكفر؟

أجيب : بأنه لم يرفض حكم الله، ولكنه رضي به وخالفه لهوى في نفسه فهو كسائر أهل المعاصي.

القسم الثالث: أن يتابعهم جاهلاً يظن أن ذلك حكم الله فينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : أن يمكنه معرفة الحق بنفسه فهو مفرط أو مقصر فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

القسم الثاني: أن يكون جاهلاً ولا يمكنه معرفة الحق بنفسه فيتابعهم بفرض التقليد يظن أن هذا هو الحق فلا شيء عليه، لأنه فعل ما أمر به وكان معذوراً بذلك، ولذلك ورد عن رسول الله، ﷺ -: « أن من أفتى بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه». ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره، للزم من ذلك الحرج والمشقة ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه.[مجموع الفتاوى«١/٢٢»]

هذه خاتمة هذا الكتاب ختم الله لنا بالخير، فلنقتصر على ذلك.

والله أسال أن ينفع من كتبه أو سمعه أو نظر فيه أو نشره بمنه وكرمه.

محتويات الكتاب

مقدمة الشارح ٤

تمهيد ٦

قوله: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. فيه مسائل وهي: ١٢

المسألة الأولى: معنى البسملة وأهميتها. ١٢

المسألة الثانية: معنى اسم الله والرحمن والرحيم والفرق بينهما. ١٣

المسألة الثالثة: فوائد البسملة وبعض الأحكام التي تضمنتها. ١٤

المسألة الرابعة: لماذا ابتدأ المؤلف بالبسملة. ١٦

المقدمة الأولى: وفيها أربع مسائل ١٨

قوله: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٨

المسألة الأولى: معنى اعلم ١٨

المسألة الثانية: دلالة قوله: اعلم. ١٩

المسألة الثالثة: معنى قوله رحمك الله. ١٩

المسألة الرابعة: هل يجوز تقديم الغير على النفس في الدعاء. ١٩

المسألة الخامسة: لماذا اختار المؤلف قوله: رحمك الله دون غيرها من الأدعية. ٢١

المسألة السادسة: ما أهمية هذه المسائل التي أشار إليها المؤلف رحمه الله. ٢١

المسألة السابعة: معنى هذه المسائل وأقسامها. ٢٣

المسألة الثامنة: أحوال الناس في هذه الأربع المسائل: ٢٣

قوله: المسألة الأولى: العلم...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي: ٢٤

المسألة الأولى: تعريف العلم ٢٤
المسألة الثانية: أقسام العلم ٢٤
المسألة الثالثة: مراتب نيل العلم ٢٥
المسألة الرابعة: أهمية هذه الثلاثة الأصول. ٢٥
المسألة الخامسة: العلاقة بين هذه الثلاث المسائل. ٢٦
قوله: المسألة الثانية: العمل به: هذا الكلام فيه مسائل وهي: ٢٧
المسألة الأولى: ما هو العمل؟ ٢٧
المسألة الثانية: أهمية العمل بالعلم وذم من لم يعمل بعلمه ٢٧
المسألة الثالثة: الفرق بين الفعل والعمل. ٢٩
المسألة الرابعة: حكم العمل بالعلم ٣٠
المسألة الخامسة: أقسام الناس من حيث العمل بالعلم ٣٠
قوله: المسألة الثالثة: الدعوة إليه: هذا الكلام فيه مسائل وهي: ٣٢
المسألة الأولى: معنى الدعوة إليه. ٣٢
المسألة الثانية: أهمية الدعوة إلى هذا الدين ٣٢
المسألة الثالثة: حكم الدعوة إلى الله ٣٣
المسألة الرابعة: شروط الدعوة؟ ٣٤
المسألة الخامسة: مراتب الدعوة إلى الله وحال المدعوين ٣٤
المسألة السادسة: هل وسائل الدعوة توقيفية أم اجتهادية؟ ٣٥
قوله: المسألة الرابعة: الصبر...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي ٣٦

المسألة الأولى: معنى الصبر؟..... ٣٦
المسألة الثانية: أهمية الصبر وأدلته..... ٣٦
المسألة الثالثة: أنواع الصبر..... ٣٨
قوله: والدليل قوله تعالى: والعصر...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي:. ٣٩
المسألة الأولى: أهمية هذه السورة..... ٣٩
المسألة الثانية: تفسير هذه السورة..... ٣٩
المسألة الثالثة: فوائد هذه السورة..... ٤١
قال الشافعي: لو ما أنزل الله...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي:..... ٤٣
المسألة الأولى: تخريج قول الشافعي ومعناه..... ٤٣
المسألة الثانية: من هو الشافعي؟..... ٤٣
المسألة الثالثة: معنى قول الشافعي..... ٤٥
المسألة الرابعة: من هو البخاري..... ٤٦
المسألة الخامسة: ما هو وجه استدلال المؤلف بتبويب البخاري ومعناه..... ٤٧
المسألة السادسة: معنى قوله جل وعلا: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾..... ٤٨
المقدمة الثانية: وفيها ثلاث مسائل..... ٤٩
قوله: الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا...الخ: هذا الكلام فيه مسائل وهي:.. ٤٩
المسألة الأولى: أعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم ثلاث مسائل..... ٤٩
المسألة الثانية: وجه الترابط في كلام المؤلف رحمه الله..... ٤٩
المسألة الثالثة: معنى قوله: أن الله خلقنا فيه مسائل وهي:..... ٥٠

المسألة الرابعة: معنى قوله رحمه الله: وَرَزَقَنَا فيه مسائل:: ٥٢
المسألة الخامسة: معنى قوله: وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رسولا: ٥٤
المسألة السادسة: معنى قوله: فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّار.. ٥٥
المسألة السابعة: معنى قوله رحمه الله: والدليل. ٥٥
المسألة الثامنة: معنى قوله: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً.. الآية ﴾ ...٥٦
قوله: أن الله لا يرضى أن يشرك به...هذا الكلام فيه مسائل وهي:..... ٥٧
المسألة الأولى: معنى الرضا ووصف الله به..... ٥٧
المسألة الثانية: معنى الشرك وحكمه وأقسامه وما يترتب عليه ففيه مسائل وهي:
..... ٥٨
المسألة الثالثة: خصوصية العبادة لله تعالى دون غيره. ٥٩
المسألة الرابعة: معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨ ..... ٥٩
قوله: أن من أطاع الله ووحده...هذا الكلام فيه مسائل وهي ٦٠
المسألة الأولى: معنى كلام المؤلف هنا وترابط كلامه. ٦٠
المسألة الثانية: معنى طاعة الرسول ﷺ وأهميتها ٦١
المسألة الثالثة: معنى الموالاة والتحذير منها ٦٢
المسألة الرابعة: أقسام الموالاة ٦٣
المسألة الخامسة: صور موافقة الكفار ٦٣
المسألة السادسة: معنى المحادة لله ورسوله وعظيم جرمها وأقسامها ٦٤

المسألة السابعة: النفي في قوله: لا تجد قوما يؤمنون...الآية هل هو نفي صحة أم نفي كمال؟..... ٦٥
الأصول الثلاثة: ٦٦
قوله: اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ...هذا الكلام فيه مسائل وهي..... ٦٦
المسألة الأولى: معنى الرشد وفضله ٦٦
المسألة الثانية: معنى الحنيفية..... ٦٧
المسألة الثالثة: معنى الحنيفية السمحة وبيان خصائصها ٦٨
قوله: فإذا قيل لك: ما الأصول...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي ٦٩
قوله: معرفة الرب...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي ٧١
المسألة الأولى: معنى الرب..... ٧١
المسألة الثانية: هل يطلق على غير الله رب؟ ٧٢
المسألة الثالثة: أنواع الربوبية ٧٢
قوله: فإذا قيل بم عرفت ربك...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي..... ٧٤
المسألة الأولى: قوله: فإذا قيل لك: بم عرفت ربك. كيف يُعرف الله تعالى؟ ٧٤
المسألة الثانية: ماهي معرفة الله التي يحصل بها الإيمان والتي لا يصح بها الإيمان؟ ٧٦
المسألة الثالثة: فوائد معرفة الله تعالى..... ٧٧
المسألة الرابعة: آيات الله تنقسم إلى قسمين هما: ٧٨
قول: والرب هو المعبود...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي ٧٩
المسألة الأولى: معنى الرب تقدم بيانه ٧٩

المسألة الثانية: العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ٧٩
المسألة الثالثة: ما هي الفرق التي خالفت في توحيد الربوبية..... ٨٠
قوله: قال ابن كثير: الخالق...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي ٨٣
المسألة الأولى: من هو ابن كثير رحمه الله..... ٨٣
المسألة الثانية: تخريج كلامه رحمه الله وبيان معناه ٨٤
قوله: أنواع العبادة التي...الخ هذا الكلام فيه مسائل وهي ٨٦
المسألة الأولى: تعريف العبادة..... ٨٦
المسألة الثانية: أقسام العبادة ٨٦
المسألة الثالثة: شروط قبول العبادة ٨٦
المسألة الرابعة: قوله: مثل الإسلام والإيمان والإحسان ٨٧
قوله: ومنه الدعاء. هذا الكلام فيه مسائل وهي..... ٨٨
المسألة الأولى: تعريف الدعاء ٨٨
المسألة الثانية:: أدلة الدعاء ٨٨
المسألة الثالثة: أنواع الدعاء والعلاقة بينهما ٨٩
المسألة الرابعة: شروط الدعاء وآدابه ٨٩
المسألة الخامسة: موانع الدعاء ٨٩
المسألة السادسة: أنواع الدعاء وحكمه ٩٠
قوله: والخوف. هذا الكلام فيه مسائل وهي:..... ٩١
المسألة الأولى: تعريف الخوف..... ٩١

المسألة الثانية: أدلة الخوف..... ٩١
المسألة الثالثة: أنواع الخوف ٩١
المسألة الرابعة: أنواع الناس في الخوف..... ٩٢
قوله: والرجاء. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ٩٤
المسألة الأولى: تعريف الرجاء ٩٤
المسألة الثانية: أدلة الرجاء ٩٤
المسألة الثالثة: أنواع الرجاء ٩٥
المسألة الرابعة: شروط الرجاء..... ٩٥
قوله: والتوكل. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ٩٦
المسألة الأولى: تعريف التوكل ٩٦
المسألة الثانية: أدلة التوكل ٩٦
المسألة الثالثة: أنواع التوكل وحكمه. ٩٧
قوله: الرغبة. هذا الكلام فيه مسائل وهي:..... ٩٨
المسألة الأولى: تعريف الرغبة ٩٨
المسألة الثانية: أدلة الرغبة ٩٨
المسألة الثالثة: أنواع الرغبة ٩٨
قوله: الرهبة هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٠٠
المسألة الأولى: تعريف الرهبة..... ١٠٠
المسألة الثانية: أدلة الرهبة..... ١٠٠

المسألة الثالثة: أنواع الرهبة ١٠١
قوله: الخشوع. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٠٢
المسألة الأولى: تعريف الخشوع ١٠٢
المسألة الثانية: أدلة الخشوع ١٠٢
المسألة الثالثة: أقسام الناس في الخشوع ١٠٣
المسألة الرابعة: أنواع الخشوع وحكمه ١٠٣
قوله: الخشية. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٠٤
المسألة الأولى: معنى الخشية ١٠٤
المسألة الثانية: أدلة الخشية ١٠٤
المسألة الثالثة: أنواع الخشية وحكمها ١٠٥
قوله: الإنابة. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٠٧
المسألة الأولى: معنى الإنابة ١٠٧
المسألة الثانية: أدلة الإنابة ١٠٧
المسألة الثالثة: أقسام الإنابة ١٠٨
المسألة الرابعة: أنواع الإنابة وحكمها ١٠٨
قوله: وَالاسْتِعَانَةُ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٠٩
المسألة الأولى: معنى الاستعانة ١٠٩
المسألة الثانية: معنى الاستعانة ١٠٩
المسألة الثالثة: أنواع الاستعانة وحكمها ١١٠
قوله: والاستعاذة. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١١٢

المسألة الأولى: معنى الاستعاذة ١١٢
المسألة الثانية: أدلة الاستعاذة ١١٢
المسألة الثالثة: أنواع الاستعاذة وحكمها ١١٣
قوله: وَالاسْتِغَاثَةُ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١١٤
المسألة الأولى: معنى الاسْتِغَاثَةُ ١١٤
المسألة الثانية: أدلة الاستغاثة ١١٤
قوله: وَالذَّبْحُ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١١٦
المسألة الأولى: معنى: الذَّبْحُ ١١٦
المسألة الثانية: أدلة وَالذَّبْحُ ١١٦
المسألة الثالثة: شروط التذكية ١١٦
المسألة الرابعة: أنواع الذبح وحكمه ١١٧
قوله: وَالنَّذْرُ وغير ذلك. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١١٩
المسألة الأولى: معنى النَّذْرُ ١١٩
المسألة الثانية: أدلة النَّذْرُ ١١٩
المسألة الثالثة: أنواع النَّذْرُ وحكمه ١١٩
المسألة الأولى: معنى التكفير ١٢٢
المسألة الثانية: الفرق بين الوصف والتعيين في التكفير والتبديع وغيرها ١٢٣
الأَصْلُ الثَّانِي: معرفة دين الإسلام ١٢٤
قوله: معرفة دين الإسلام بالأدلة.... هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٢٤

المسألة الأولى: معنى معرفة تقدم بيان العلم..... ١٢٤
المسألة الثانية: معنى دين الإسلام..... ١٢٤
المسألة الثالثة: أدلة الإسلام..... ١٢٥
المسألة الرابعة: أنواع الإسلام..... ١٢٥
المسألة الخامسة: قوله مراتب الدين..... ١٢٥
قوله: فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٢٦
المسألة الأولى: معنى الشهادتين..... ١٢٦
المسألة الثانية: شروط شهادة أن لا إله إلا الله..... ١٢٧
المسألة الثالثة: أركان الشهادة..... ١٢٧
قوله: ودليل شهادة أن محمدا رسول الله....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٢٨
المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ..... ١٢٨
المسألة الثانية: أدلة شهادة أن محمداً رسول الله..... ١٢٨
المسألة الثالثة: شروط شهادة أن محمداً رسول الله..... ١٢٩
المسألة الرابعة: نواقض الشهادتين سيأتي في كتاب نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله..... ١٢٩
قوله: ودليل شهادة أن محمدا رسول الله....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٣٠
المسألة الأولى: معنى الصلاة..... ١٣٠
المسألة الثانية: أدلة الصلاة وأهميتها وحكمها..... ١٣٠

المسألة الثالثة: شروط الصلاة ١٣١
المسألة الرابعة: أركان الصلاة ١٣١
المسألة الخامسة: مبطلات الصلاة ١٣١
المسألة السادسة: واجبات الصلاة ١٣١
قوله: وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٣٢
المسألة الأولى: معنى الزكاة ١٣٢
المسألة الثانية: أدلة الزكاة وأهميتها وحكمها ١٣٢
المسألة الثالثة: شروط الزكاة ١٣٣
المسألة الرابعة: مصارف الزكاة ١٣٣
قوله: ودليل الصيام....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٣٦
المسألة الأولى: معنى الصوم ١٣٦
المسألة الثانية: أدلة الصوم ١٣٦
المسألة الثالثة: أركان الصوم ١٣٧
قوله: ودليل الحج....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:..... ١٣٨
المسألة الأولى: معنى الحج ١٣٨
المسألة الثانية: أدلة الحج ١٣٨
المسألة الثالثة: شروط الحج ١٣٩
قوله: الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٤٠
المسألة الأولى: معنى الإيمان ١٤٠

المسألة الثانية: أدلة الإيمان ١٤١
قوله: الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:.... ١٤٤
المسألة الأولى: معنى الإحسان ١٤٤
المسألة الثانية: أدلة الإحسان ١٤٤
الأَصْلُ الثَّالِثُ: معرفة نبيه ١٤٧
قوله: معرفة نبيكم محمد....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٤٧
المسألة الأولى: اسم النبي ﷺ ونسبه..... ١٤٧
المسألة الثانية: معرفة أزواجه..... ١٤٨
المسألة الثالثة: من أفضل نساء النبي ﷺ؟..... ١٥٠
المسألة الرابعة: ما الواجب نحو أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين؟..... ١٥١
المسألة الخامسة: ما حكم من سب أزواج النبي - ﷺ - أو رماهن بالفاحشة؟ ١٥٢
المسألة السادسة: هل يقال لسراري النبي ﷺ أمهات المؤمنين أو لا يقال؟... ١٥٣
المسألة السابعة: أولاد النبي ﷺ..... ١٥٤
المسألة الثامنة: مختصر حياته ﷺ قبل البعثة وبعدها ١٥٤
قوله: بعثة الله بالنذارة....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٥٦
المسألة الأولى: كيفية بعثته..... ١٥٦
المسألة الثانية: بعض خصائصه ﷺ..... ١٥٧
قوله: وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:
..... ١٦١
المسألة الأولى: تعريف الهجرة و أنواعها ١٦١

المسألة الثانية: حكم الهجرة ١٦٢
المسألة الثالثة: هل الهجرة انقطعت أم باقية؟ ١٦٣
المسألة الرابعة: حكم السفر إلى بلاد الكفار و التجنس بجنسية الكفار ١٦٤
قوله: فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٦٧
المسألة الأولى: أحوال التشريع ومراحله ١٦٧
المسألة الثانية: الضروريات التي جاءت الشريعة لحفظها ١٦٧
المسألة الثالثة: أنواع التشريع الإسلامي ١٦٨
المسألة الرابعة: مصادر التشريع ١٦٨
قوله: وَدِينُهُ بَاقٍ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٦٩
المسألة الأولى: ديمومة هذا الدين واستمراريته ١٦٩
قوله: وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٧١
المسألة الأولى: ما جاء به النبي ﷺ وبينه ١٧١
قوله: بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٧٣
المسألة الأولى: بعثة النبي ﷺ ١٧٣
قوله: وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ...الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٧٤
المسألة الأولى: حكم طاعته ﷺ وأدلتها ١٧٤
قوله: وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٧٥
المسألة الأولى: كمال دين النبي ﷺ ١٧٥

المسألة الثانية: بعض علامات كمال دين النبي ﷺ ١٧٦
قوله: والدليل على موته....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٧٨
المسألة الأولى: قصة موت النبي ﷺ مختصرة ١٧٨
قوله: وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي:.... ١٨٣
المسألة الأولى: تعريف البعث ١٨٣
المسألة الثانية: أدلة البعث ١٨٤
المسألة الثالثة: المنكرون للبعث ١٨٤
المسألة الرابعة: أنواع البعث ١٨٥
قوله: وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٨٦
المسألة الأولى: وجوب الإيمان بالرسل ١٨٦
المسألة الثانية: أول الأنبياء وأول الرسل وأخرهم ١٨٦
المسألة الثالثة: عدد الأنبياء والرسل ١٨٧
المسألة الرابعة: أفضل الأنبياء والرسل ١٨٧
المسألة الخامسة: حكم المفاضلة بين الأنبياء والرسل ١٨٨
الخاتمة: ذكر الطواغيت والبراءة منها ومن أهلها ١٩١
قوله: وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ....الخ. هذا الكلام فيه مسائل وهي: ١٩١
المسألة الأولى: تعريف الطاغوت ١٩٢
المسألة الثانية: أدلة ذم الطواغيت ١٩٢

المسألة الثالثة: رؤوس الطواغيت ١٩٣

المسألة الرابعة: طاعة الأمراء والعلماء والفقهاء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله..... ١٩٤